

2023
فائز بتحدي
AR15 للتأليف السريع

صقر جزيرة الأحلام

د. محمود عبد المنعم خليفة



صقن جزيرة الأعلام

تأليف

د. محمود عبد المنعم خليفة

صقر جزيرة الأحلام

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

1445 هـ - 2024 م

الطبعة الأولى

اسم الكتاب: صقر جزيرة الأحلام

د. محمود عبد المنعم خليفة

مقاس الكتاب: 7" * 10"

عدد الصفحات: 80

المدقق اللغوي: محمود جلال عبد الغني المهدي

التنسيق الفني: عدنان قلعه جي

رقم التسجيل الدولي ISBN :



arid.my | info@arid.my

رعاة الكتاب



المحفل العلمي الدولي
www.almahfal.org



منصة أريد العلمية
www.arid.my



جامعة أريد الدولية
university.arid.my



أكاديمية أريد لعلوم الفضاء
falak.arid.my



وقف الذكاء الاصطناعي
www.waqf.ai



القرية العلمية
sci-village.com



أبصر فايزر للمتميمات الافتراضية
www.abservisor.com



منصة الفاتحة
www.fatiha.id



منصة أبناء العلماء
sos.arid.my



منصة قادرة
www.qadirah.com



أبصر للتعليم الإلكتروني
www.abser.org



بوابت فلسبي للدفع الإلكتروني
www.filspay.com

إهداء

إلى ضمير الأمة، المتمثل في كل فرد فيها، على اختلاف لونه أو جنسه أو عرقه أو عمره.....

تقديم منصة أريد العلمية

الحمد لله الذي أنزل كتابه، ولم يجعل له عوجًا، وجعل السماء سقفاً وبروجًا، والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسله للعالم بشيرًا ونذيرًا وسراجًا، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أمّا بعد:

بكل فخر واعتزاز، نقدم لكم كتاب "صقر جزيرة الأحلام"، الفائز في "تحدي التأليف السريع خلال 24 ساعة" الذي أقامته منصة أريد العلمية في الفترة من 1 إلى 3 تموز 2023. تم الكشف عن هذا الإنجاز الأدبي ضمن فعاليات حفل ختام المحفل العلمي الدولي الثالث عشر يوم 3 نوفمبر 2023، حيث أضاف إلى الأدب العربي قصة مشوقة وعميقة تفتح آفاقًا جديدة للمتخيل الأدبي.

يقدم هذا الكتاب عبر صفحاته مزيجًا من التشويق والمعرفة، من خلال سرد ملحي لقصة جزيرة تتعرض للحصار وكفاح شخصياتها من أجل البقاء والحرية. تبدأ القصة بتمهيد يعرف القارئ بالسياق، تليها مواضيع مثل "حصار الجزيرة" و"إفضاء" و"نساء وأي نساء!!!"، كل منها يتناول جوانب مختلفة من الشجاعة والتضحية والأمل.

من خلال "شلالات القيم" و"أفئدة الطير"، يستكشف الكتاب الأخلاق والمبادئ التي تدعم الحياة في أوقات الأزمات، بينما "رحلة الخلود" تقدم رؤية فلسفية عن البقاء والذاكرة.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به القراء والمثقفين، وأن يكون منارةً هاديًا يضيء للآخرين مسالك العمل التطوعي وممرات الإبداع والابتكار. وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم.

د. سيف السويدي

رئيس منصة أريد العلمية

تمهيد

فرحة عارمة تطغى على سكان الجزيرة؛ فهم الذين سهروا وتعبوا وعملوا كل ما في وسعهم للوصول إلى هذا الإنجاز الكبير، الذي كان يصعب أن يتخيله أهل المنطقة أو يحلمون به مجرد حلم وهم نائمون، هذا الحدث التاريخي الذي تقوم له الدنيا ولا تقعد، وتمتز له أركان المعمورة بأسرها؛ فهو أمنية الكبار وأصحاب الهمم العالية من الدول، تلك التي تسعى دائماً إلى جذب الأنظار إليها من خلال هذا الحدث العظيم، إنه حدث استضافة فريق كرة قدم، قادم من الفضاء، الذي يقام كل فترة، حيث تنشط خلاله الدولة في كل مجالاتها، ويتبارى الجميع في أن يكون محطاً لأنظار العالم، كل العالم؛ ليعرض عليه ثقافته وتراثه، وتلتحم الحضارات والثقافات عن قرب، في جو مليء بالحب والمرح والتفاهم.....

استطاعت جزيرة الأحلام وهي الصغيرة في حجمها، الكبيرة بقادتها وأبنائها، وإنجازاتها أن تصل إلى هذا الإنجاز الضخم؛ بجدها واجتهادها وسهرها وتعبها وإدارتها وتخطيطها، لتقول للعالم كله نحن هنا! نرنو إلى العلياء، وننشد الأمل الأسسى في كل تصوراتنا، لننهض بجزيرتنا، ونكون شامة بين العالم.

ولأن حال الدول كحال الأفراد، في الموالاة والمعادة، وفي الحب والبغض، وفي المصالحة والخصام؛ فقد أتى هذا الإنجاز الكبير على غير رغبة بعض الجزر المجاورة، فقد كان بعضها يرغب أن يكون في الصدارة، وأن تكون هي الوجهة الأولى للعالم بدلاً من جزيرة الأحلام، ولم يتصوروا يوماً أن تتجه الأنظار إلى غيرهم، فهم يرون على مدى عقود من الزمن كيف استطاعت تلك الجزيرة أن تحظى باهتمام العالم في مجالات كثيرة، فقد بنوا اقتصاداً قوياً قائماً على أسس واقعية متينة، ووضعوا لأنفسهم مكاناً مع الكبار على خريطة التقدم والإنجاز، ومع كل هذا فهم متمسكون بعقيدتهم وتراثهم الأصيل.

لكن كما يقولون في الأمثال: (القشة التي قصمت ظهر البعير).

فكان الترشح لاستضافة هذا الحدث قاصماً لظهر بعير ازداد حملة من الحقد والغل والحسد على مدى عدة عقود من الزمن.

حصار الجزيرة

وفي ليلةٍ من ليالي شهر البر والإحسان، شهر العفو والغفران، شهر القلوب الطاهرة، والمساجد العامرة، تخرج جزرٌ ثلاثٌ تعلن حربها على جزيرة الأحلام ويعلنون محاصرتهم لها، ويساعدهم على ذلك جزيرة رابعة لها مطامع مشابهة، ولعل لها مطامع أخرى.

لم تراع تلك الجزر حرمةً جار، ولا حرمةً ديار، ولا حرمة شهر الصيام، كيف لا، وهم قد استمعوا لنداءات النفس الأمارة بالسوء، ولعلمهم اتخذوا من الشيطان الرجيم مستشاراً لهم.

نزل الخبر كالصاعقة على كل القاطنين لجزيرة الأحلام!! سواء منهم أصحاب الأرض أو المقيمين عليها....

أنى للخلان أن يقاتل بعضهم بعضاً؟ وكيف للجيران أن يستبيحوا أعراض بعضهم بعضاً؟ وهل للأهل أن يتنكروا لأهلهم؟!!

ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، الذين غرسوا فينا معاني الأخوة والمحبة وحسن الجوار والصحبة، وعلّمونا كيف تكون الرجولة والشهامة.

وهناك في عمق الجزيرة تسكن تلك الأسرة العريقة، أسرة الشيخ راضي، وزوجته الشيخة حسنية، وأولادهما وأحفادهما، يجتمعون في كل موسم من مواسم الخير، لاسيما في رمضان، يعيشون أجواء البر والفضل والمحبة، يتنشق الأبناء والأحفاد عبق الماضي من الأجداد، ويستقرئ الأجداد آمال المستقبل في عيون الصغار، فأكرم بهذا الجو الدافئ من حضان يضم العائلة كلها، صغيرها وكبيرها، وأكرم بتلك الروح التي تسري بينهم، فتبعث على الطمأنينة والراحة، وتعزز في الجميع الحب والولاء والانتماء.

وكان هذا نموذجاً تحياه جميع العائلات في جزيرة الأحلام، ورثوا تلك العادات الجميلة، وحافظوا عليها في ظل هذا الركام الكثيف من الحداثة الجارفة، والتطور الرهيب.....

ففي تلك الفيلا على الطراز القديم من الخارج، والتي تضم كل مظاهر الحياة الحديثة من الداخل، فخارجها يوحى بالفخامة والوقار، ودخلها تجد الروعة والجمال، من خلال ثلاثة أجيال؛ جيل الأجداد، وجيل الأبناء، وجيل الأحفاد، وكل منهم له جمالياته التي يحبها ويرتاح إليها، سواء في المسكن أو في الملابس أو حتى في طريقة

صقر جزيرة الأحلام

الحياة والاستمتاع بها، تسكن تلك الأسرة العريقة في جو يسوده دفاء المحبة، وممتعة الوجدان، حيث الأنس بالأهل والأحباب.

الشيخ راضي.... الأب والجد، لا هو بالقصير، ولا هو بالطويل، يعلوه الوقار، شعره أبيض ناعم، بشرته خميرية، في خده الأيمن عند وجنته حسنة صغيرة، وتتدلى من تلك الحسنة شعرة سوداء، لم تسقط مع الهرم، ولم يتغير لونها مع الشيب، رجل حكيم في آرائه، له نظرات عطوفة وصوت رخيم، وابتسامات رقيقة تجمع كل البيت بلا مناد، ويستجيب لها كل أحد، دونما ضجيج أو ضوضاء، جاوز السبعين من عمره، يستند إلى عصاه السوداء، التي ورثها عن أبيه خليفة، وورث معها الأخلاق والأدب والحكمة، حقاً لقد جاوز السبعين، إلا أن روحه مفعمة بالشباب كابن العشرين، سواءً بسواء.....

أما زوجه.... الشيخة حسنية، فهي حسنية خيراً ومخبراً، وعرضاً وجوهراً، يجملها حياؤها الفطري، وترفع شأنها عفتها الأصيلة، لا تستخدم لزيئها إلا الكحل الأسود لعيونها، والحناء الحمراء ليديها الممتلئتين، أما حدودها... فهي كالورد اليانع، وتبرق ثناياها بالنور من شدة البياض، وتأسر القلوب بعيونها شديدة السواد، تتدلى من شعرها الأسود اللامع خصلة على جبهتها، فتزيدها رونقاً وجمالاً، أما صوتها فهو كصوت كروان يداعب الأسماع فيوقظ في الحس كل معاني الراحة والهدوء.

أما أولادهما... فأربع: خالد، وخالدة، ومحسن، وعلي.

خالد.... ذو الأربعين عاماً ونيفاً، قوي البنية، حسن الخلق، دائم الابتسامة، يعمل مديراً في إحدى الوزارات، وله بعض العقارات في جزيرته وفي جزيرة (ساسا)، فهو يديرها أيضاً ويتابع سيرها بانتظام، وقد تزوج بفتاة من (ساسا)، تسمى دانة، هي الآن أم ولده الأكبر عبد الله، وكذلك أم ابنتيه ضحى وفجر، رزق بهما بعد عبد الله بتسع سنوات، ضحى تحب الرسم، وفجر تحب الكتابة، فهما كل حياته، وأمله أن يراهما شامة في الأمة، فهو يسهر على راحتهم، ويؤانسهم في كل وقت وحين، وكذلك يملأن على أمهما وقت فراغها، فهي تحبهم حباً جماً؛ كيف لا؟ فهما بنتاها اللتان رزقت بهما على شوق لإنجاب الإناث، لا تحلو الحياة بدونهما، بل لا تتصور الحياة بدونهما، فهم جميعاً يقضون أوقاتهم بين الجزيرتين، بين أعمامهم تارة، وبين أخوالهم تارة، حيث ينهلون من معين كل منهم، ويكتسبون خبرة لحياتهم، يستعينون بها على خوض غمار الحياة، أما عبد الله، فهو قريب في خلقته من جده الشيخ راضي، حتى لقد ورث عنه الحسنة ذات الشعرة السوداء في وجهه، لكنه ورث اللون

الأبيض لبشرته من أمه، فهو مزيج من جماليات جده وأمه، وقد اختار حياة البر والإبل، وله مزارعه من الإبل في (ساسا) عند أخواله، فهو يقضي معظم وقته هناك؛ لمتابعة "حلاله".....

وخالدة..... الحبيبة المحبوبة من كل أهل البيت، فهي البنت الوحيدة مع ثلاث من البنين، كبرت أو صغرت، فهي سر أبيها وأمها وإخوتها، وهي سعيدة بذلك أيما سعادة، وترى في ذلك انشراحاً في صدرها، واطمئناناً في نفسها، درست خالدة إدارة الأعمال بجزيرة (دمدم)، وتزوجت بشاب منها يُدعى (نايف)، ولها شركة تديرها هناك، ويتشارك معها زوجها في إدارتها بجانب عمله الوظيفي، قوية الشخصية، نافذة الإرادة، تحب الانضباط في العمل، ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، ويبدو أن تلك وصية أبيها لها منذ صغرها، فقد كان يحثها على مساعدة أمها، ويحفزها بالحلوى حتى لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فما زالت محافظة على تلك الوصية منذ الصغر، ولها من الأولاد: خليفة، وناصر. فأما ناصر، فهو يحب الرياضة، وكرة القدم هوايته، فعلى الرغم من قصر قامته، إلا أن مهاراته في التحكم بالكرة عالية، وتستحق الإعجاب، لا يحول بينه وبين تنمية مهاراته حائل، ولا يرده شيء عن استفراغ الجهد والطاقة للوصول إلى مستوى يؤهله للالتحاق بأحد الأندية الكبيرة، وأما خليفة فهو يحب الخيال والتفكير في الكون، واستخراج الحكم من الواقع الذي يدور حوله، فقد سبق سنه، ويحب دائماً أن يجلس إلى جده ليستمتع إلى حكاياته عن الزمن الماضي؛ ويسأله عمّا يعن له، ويسعد كثيراً لأن أباه قد اختار اسمه خليفة؛ ليتوافق بذلك اسمه مع اسم والد جده، فلا يشغل باله شيء إلا أن يجالس جده ويستفيد من حكمته، وينمي مهارات التفكير عنده، حتى كانت الأسرة تناديه بالفيلسوف، وكان جده يرى فيه نبوغاً واستقامة؛ فلم يكن يبخل عليه بشيء من نصيحة أو إرشاد، ظناً منه أن هذا الولد سيكون خليفة للوالد خليفة.

أما محسن وعلي، فهما توأم، رُزق بهما أبوهما على كبر، فما زالوا يدرسان في الجامعة، محسن يدرس في (جزيرة دمدم)، وعلي يدرس العلوم السياسية في أمريكا، وهما شابان مفعمان بالحيوية والنشاط، وعلو الهمة، ونفاذ الإرادة، متشابهان إلى حد كبير في كل شيء، في البشرة البيضاء، ولون الشعر الأسود، وطبيعته الملساء، وفي اللحية الخفيفة السوداء المحددة، والوجه البيضراوي، واضح الملامح، مع جهة جذابة، ووجنتين غائرتين مع كل ابتسامة، يزيدانهما جمالاً، ويكاد يكون طولهما واحداً، فلاهما بالطويلين، ولا بالقصيرين، بل حتى المشاعر والأحاسيس، يكاد يشعر الواحد منهما بأحاسيس أخيه دون أن يراه، إلا في شيء واحد فقط، لا يتشابهان فيه، هو القابلية للزواج وإنشاء علاقة أسرية، فأما محسن فهو يتعجل الانتهاء من الجامعة بفرار الصبر، عله

صقر جزيرة الأحلام

يستطيع بناء أسرته الجديدة، فقد تعرف على فتاة من (دمدم) من أب من جزيرة (بحبح)، تسمى شذى، جمعت من الرقة والأنوثة ما جمعت، وهو الفتى الولهان الذي يبحث عن إرواء ظمئه، فما أن راها حتى شعُر تجاهها بالانجذاب، وارتاح إلى أن تكون شريكة حياته.

أما عليُّ فلَّه طموح آخر في عالم السياسة والواقع، يأمل أن يكون يوماً ما سياسياً مرموقاً، فلا تكاد تراه إلا مستمعاً بإنصات، أو قارئاً بإعجاب، أو مفكراً بشغف، ويشغله هذا التفكير كثيراً عن أن يطرح على نفسه أمر الزواج.

كانت هذه الأسرة الكبيرة كلها مجتمعة في بيت الجد الشيخ راضي، فهو وزوجه، الشيخة حسنية وخالد وزوجه دانة وبنتهما ضحى وفجر، وخالدة وزوجها نايف وولداهما خليفة وناصر، وكذلك محسن.....

أما عليُّ فهو الذي لم يتمكن من الوصول بعد ليشهد تلك اللقاءات العائلية على موائد الإفطار في رمضان، ولقاءات السمر التي تعقب صلاة التراويح، والأكل واللعب والفرحة التي ينتظرها الجميع بقدوم هذا الشهر الفضيل.

وكذلك عبد الله ابن أخيه خالد، لم يتمكن أيضاً من الحضور؛ لانشغاله بالإبل والمزرعة.

وفي وسط هذا الجو الممتلئ بالفرحة والسعادة، الكل يعيش أجواء ينتظرها كل عام، في شهر الصفاء والنقاء، فمذاق الطعام فيه غير مذاقه طوال العام، وطعم العبادة وحلاوة المناجاة فيه تختلف عن السنة كلها، فإذا باتصال يأتي من عليِّ بأمرىكا! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

فتحت الأم سماعة الهاتف ليسمع الجميع مكالمة عليِّ، حتى تكتمل الفرحة بصوته، ما دام لم يستطع الحضور بنفسه...

علي: كيف أحوالكم جميعاً؟

رد بعض الحاضرين: الحمد لله بخير، طمئنا عليك أنت، كيف أحوالك؟

علي: أنا والحمد لله بخير، لكن أريد أن أطمئن على حال البلد عندكم....

ردت خالدة: البلد كله؟ ما شاء الله!!! ظننت أنك سوف تسأل عني أنا أولاً قبل أن تسأل عن أحوال البلد.....

علي: أختي وحببتي أنت والله، لكن أنا فعلاً أريد أن أطمئن على حال الجزيرة الآن!

نظر الحاضرون جميعاً إلى بعضهم بعضاً، وساد صمت لعدة لحظات، بعده تكلم خالد ومحسن في اللحظة نفسها: خيراً يا علي؟ ما الذي حدث؟

لم يدعهم علي في حيرة من أمرهم طويلاً، ولكنه طلب منهم أن يفتحوا التلفاز ليشاهدوا الأخبار فقط، أو يفتحوا أي موقع للأخبار على الشبكة (الإنترنت).... وسوف يعرفون الأمر..

المذيع: وقد أعلنت كل من جزيرة (ساسا) وجزيرة (بحبح) وجزيرة (دمدم) وكذلك (مرمر) مقاطعتها لجزيرة الأحلام، وفرض الحظر عليها براً وبحراً وجواً؛ حتى ترضخ لمطالب الدول الأربع...

وعلى الفور ردت قيادة جزيرة الأحلام: لم نكن نتوقع من الجيران والأهل أن تكون تلك أخلاقهم، فقد تربينا على حب الأهل واحترام حقوق الجار، شربنا الشهامة منذ نعومة أظفارنا، ونحن لن نسمح لأي قوة من القوى الإقليمية أو العالمية بالتدخل في شؤوننا الداخلية؛ فكما لم نتدخل نحن في شؤون أحد؛ فلن نسمح لأحد بذلك....

صمت جميع أفراد العائلة، وكأن على رؤوسهم الطير!!!!

نظر خالد لوجهه، واحتضنا ضحى وفجر، ونظرت خالدة لزوجها، وارتعى في أحضانها خليفة وناصر، وأمسك محسن بأيدي والده ووالدته....

هنا، قال الجد: خذوا نفساً عميقاً، وقولوا لي: ما رأيكم يا أولادي فيما سمعتم؟

خالد: هذا أمر غير معقول، كيف يليق أن تفعل طائفة قليلة من القادة والساسة فعلتهم تلك، إنما هذا الأغراض غير شريفة بالمرّة..

محسن: هم لا يدركون أنهم بذلك يقطعون الروابط والأواصر التي ظل أبائنا وأجدادنا يحمونها عبر الزمن، إن هناك ما يربو على عشرة آلاف أسرة تربطهم أنساب ومصاهرة، والعدد مرشح للازدياد، هذا أمر غير معقول وغير مبرر أبداً.....

صقر جزيرة الأحلام

نايف: هل تعلمون أن هذا الكلام سوف يؤثر سلباً على الأجيال القادمة؟ وسوف يحدث شرخاً لا يلتئم مع الزمن؟ لا أصدق ما أسمع الآن، وكأني في حلم. أين العقلاء في مجتمعنا؟ وكيف تم تمرير مثل هذه الأمور؟

ونحن لن نوافق على ذلك ولن نرضى به، وأنا آسف جداً أن قادتنا قد عرضونا لموقف كهذا، سوف يعيرنا التاريخ بفعلتهم تلك، ولماذا كل هذا الحقد؟ أظن لأن الجزيرة سوف تستضيف كائنات الفضاء، ولكن، أهذا السبب يثير الضغائن الكامنة ويبعث على الكراهية لهذا الحد؟ قبّح الله الحقد والحسد والقلوب السوداء.

الجد: وأنت يا دانة، ماذا تقولين؟

دانة: حسبي الله ونعم الوكيل يا عمي، أشعر بالخزي والعار، كيف أنظر في وجه أولادي بعد اليوم؟ وهل سأتمكن من رؤيتهم فيما بعد؟ أم أن الأمر قد يكون أكبر من ذلك، ثم يحال بيننا؟ الأمر يصعب تصوّره حقاً.

نظر الجد إلى ابنته خالدة.....

فهمت خالدة أنه يريد أن يسمع قولها.

خالدة: لأول مرة أشعر بالعجز عن الكلام، كأن لساني فقد النطق، وعقلي توقف عن التفكير، أمّن الممكن أن يحال بيني وبين أحبتي وفلذات أكبادي عبد الله وخليفة وناصر وأبيهم؟ أمّن الممكن أن تتبخر أحلامنا في لحظة؟ لا أستطيع تصوّر ذلك، إن موت إنسان أو أكثر نستطيع تقبله والصبر عليه، أما موت القيم والمشاعر والأحاسيس، وموت الرجولة والنخوة والوفاء، فهذا ما لا نستطيع أن نتقبله بحال...

أما الأحفاد..... فقد كانت لهم ردود فعلٍ مختلفة.

فقد اتخذت ضحى أريكة بجانب من جوانب الغرفة، وأخذت ترسم خريطة جزيرة الأحلام، وجعلت تلك الخريطة كلها في سفينة، وجعلت الأمواج تتلاطم من حول السفينة، وفي مكان القائد رسمت شيئاً غريباً! حيث رسمت علامة استفهام كبيرة، وأعطت هذه اللوحة الفنية لجدها.

نظر الجد إلى اللوحة ثم نظر إلى ضحى وتبسم.

أما فجر فقد اعتبرت تلك فرصة كبيرة لتكتب كل ما تسمعه من الكبار من حولها لتسجعه فيما بعد رواية للتاريخ.

طلب الجد أن يرى ما كتبه فجر، لكنها قالت: عذراً يا جدي الحبيب، إن فصول الرواية لم تكتمل بعد، وحين تكتمل فصولها، أتمنى أن تكون أنت يا جدي أول من أقرؤها عليه.

أما ناصر فقد خرج مسرعاً من الغرفة؛ ليأتي بسكين من المطبخ، وأمسك السكين وأخذ يتفحص الحاضرين جميعاً وعيناه تبرق غضباً، حتى انتهى إلى جدته، وجذباها، وأخذ الكرة من خلفها، ووقف أمامهم جميعاً، وضرب الكرة بالسكين، وشقها نصفين، وجعل يقول وهو يبكي: تلك الملعونة، التي كانت سبباً فيما نحن فيه، ليس لها وجود بيننا بعد اليوم، فقد سمعت أبي يقول: إنها كانت سبباً لكل هذا، فلن أحبها أبداً بعد اليوم.

ساد الحاضرين جميعاً صمتٌ رهيب!!

تحرك ناصر من وسط الغرفة متوجهاً إلى أبيه، وارتمى في حضنه، وقال: أرجوك يا أبي لا تتركني.. لا تتركني.

ربت أبوه على كتفه وصدره، ثم قبله وقال: لا تخف يا ناصر، وإن شاء الله لن يكون إلا كل خير.

أما الفيلسوف خليفة فقد ظل على حاله التي هو عليها من أول الحوار، ظل متكئاً على جنبه، واضعاً رأسه على كفه، قريباً من أمه خالدة، والتي كانت هي الأخرى تضع يدها على قدمه، تستمد منه الثبات الذي لم تستطع هي إدراكه، وفي الوقت نفسه تشعره بالأمان، وأنها بجانبه ولن تتخلى عنه.

نطق أخيراً ذلك الفيلسوف قائلاً: رب ضارة نافعة.

وهنا جاء دور الجد ليتكلم بحكمته المعروفة، ورأيه الصائب، وحنكته في إدارة الأمور..

قائلاً: كنت على يقين أن جيل الأحفاد هو من ستقوم عليه جزيرتنا الحديثة، وإن كان بعض الناس يخالفني الرأي، إلا أنهم بالفعل لهم نظرة مستقبلية ثاقبة فاقت نظرة الكبار، سامحوني، ولو تبني قادتنا تلك النظرة لعبّرنا بسفينتنا إلى شاطئ الأمان، وأنا على يقين من حكمة قيادتنا وجرأتها على مواجهة الصعاب بشجاعة وبسالة، ولنترك الأيام تخبركم، ولكن الذي أود قوله، هو أن الخير يأتي في ثوب الشر أحياناً، وأن المنحة تأتي مع المحنة، وأن مع العسر يسراً، فاطمئنوا إلى قدر الله، وثقوا تمام الثقة في قيادتكم، والتفوا حولها، ولا تبخلوا بأي رأي أو نصيح.

صقر جزيرة الأحلام

والآن.....فليقم كل واحد منكم ليعد عدته، فقد كان بعضكم قد نوى السفر، أهل (دمدم) يسافرون إلى (دمدم)، وأهل (ساسا) يسافرون إلى (ساسا)، وليكن بيننا اتصال قريباً؛ لنتقي في مكان خارج الجزيرة ليطمئن كل منا على الآخر، ولننظر ما الجديد في الأمر، ولكن اتركوا لي ناصراً لأتحدث معه منفرداً.

خرج الجميع تاركين ناصراً وجده.

الجد: تعال يا ناصر، ادنُ مني، واسمع مني تلك الكلمات يا حبيبي، فإنني رجل كبير، وربما قد صقلتني تجارب الحياة، وأرى أن الكلام الذي سوف تسمعه مني الآن هو من الأهمية بمكان، ابني الحبيب... إن الأمر ليس عبارة عن لعبة نمزقها بأيدينا، وإن كنت أحبي فيك انتصارك على نفسك، لكن الأمر هو أن تنفذ إرادتك الحرة، وتسير نحو هدفك غير عائب بالصعاب والمعوقات، والتي لن يخلو منها طريق إلى القمة يوماً، وجزيرتنا ماضية في تطلعاتها نحو المستقبل، أما أنت فسوف تكمل مهاراتك وتدريباتك؛ لتثبت للجميع أننا قوم أصحاب همة وعزم، وإذا بدأنا شيئاً أكملناه، واعلم يا بني أن المكان الذي يُحسَن فيه إلى الضعفاء والمساكين وأصحاب الحاجات، والمكان الذي ينصر الحق وأهله، ويعين على نوائب الدهر، لن يخذل الله أهله أبداً.

تبسم ناصر فرحاً بهذا التعزيز الذي ناله من جده، وشعر بعزيمة قوية لمواصلة السير في هوايته التي أحبها، وقام بوجه غير الذي جلس به، وهو في قرارة نفسه عازم على أن يجاهد للوصول لمبتغاه، وأنه لن يترك لليأس مدخلاً إلى قلبه وعزيمته.

إفضاء

على سرير أمهما تجلسان... ضحى وفجر، تذرغان الدمع خوفاً من مفارقة أمهما ومغادرتها إلى (ساسا) بدونهما، فهما قد تعودتا على زيارة أخوالهما بصحبة أمهما كل فترة، أما الآن! فقد أصبح من الصعب أن تتم الزيارة، وأن تريا أخوالهما بالصورة نفسها التي تعودتا عليها من قبل.

لمحت (دانة) في أعين بنتها تحسراً وألماً كاد أن يفتك بهما؛ فازدادت حسرتها التي تكتمها هي الأخرى، فانفجرت بالبكاء، وضمتهما إليها ضمة حنان واطمئنان، وقالت بعد أن تماسكت قليلاً ومسحت دموعها لكن صوتها ما زال ينتحب: لماذا تبكيان يا ابنتي؟ مم تخافان؟ نحن معكما لن نترك بعضنا أبداً إن شاء الله، وإن كنت أود الذهاب إلى أهلي للاطمئنان عليهم والعودة إليكما في أقرب وقت ممكن، فلن أغيب عنكما إلا يوماً أو يومين، وسوف تكونان في ضيافة جدكما وجدتكما، وفي المساء سوف تقضيان وقتاً ممتعاً ريثما أعود إليكما سريعاً.

ضحى: لا يا أمي.... ليس هناك وقت ممتع بدونك، فلم نتعود على غيابك عنا يوماً واحداً، إن ساعات الدراسة تمر علينا بصعوبة بالغة لأننا نكون بعيدين عنك وعن أبنينا.

دانة: أعدكما ألا أتأخر عنكما، إنما هي بعض الأمور الضرورية التي لا بد أن أقوم بها، وأنا على يقين أنكما سوف تكونان على قدر المسؤولية إن شاء الله، وأنا مضطرة للرجوع سريعاً حتى أترك المجال لأبيكما ليسافر هو الآخر.

دخل خالد مضطرباً مهموماً...!!

دانة: ما بك يا حبيبي؟؟

خالد: تعلمين يا دانة أن لنا مشاريعنا عندكم في (ساسا)، وكان من المقرر أن أسافر بعدما تعودين...

دانة: وما الجديد؟؟

خالد: الجديد هو أنني لا أستطيع دخول (ساسا)، كوني من جزيرة الأحلام، هذا ما تناقلته وسائل الإعلام الآن.

دانة: بصوت يملؤه الشجن ولا تكاد تُبين من شدة الحسرة: وأنا أيضاً؟؟

ألن أستطيع دخول جزيرة الأحلام؟؟

صقر جزيرة الأحلام

خالد: لا..... الحمد لله.... إن قادتنا قد تفهموا الأمر من اللحظة الأولى، وأعطوا الحرية لكل إنسان في أن يظل موجوداً على أرضها أو أن يغادر، فله مطلق الاختيار.

دانة: وعملك يا خالد! من سيقوم به؟؟

خالد: لا أعلم، إلا أنني سوف أتواصل مع إخوتك ليقوموا ببعض الأعمال، والخوف كل الخوف أن يتطور الأمر وتصادر (ساسا) ممتلكاتنا هناك، هذا ما أخبرني به صديق مقرب من النظام عندكم أيضاً...

دانة: لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا كان الأمر كذلك.... فإن لي رأياً....

خالد: تفضلي يا دانة بدون مقدمات، فأنت تعلمين أنني لا أبرم عملاً إلا بعد مشورتك.

دانة: لو يمكنك أن تنقل ملكية كل شيء باسمي أنا أو أحد إخوتي -سامحني حبيبي على هذا الرأي- لكن أظن أنه الرأي المناسب في تلك الظروف.

خالد: لا مانع عندي أبداً من نقل الملكية إليك؛ فأنا وأنت شخص واحد، وقلب واحد يسكن جسدين، وأنت تعرفين ذلك جيداً، فما عليك إلا البدء فوراً في إجراءات النقل، فربما يكون عامل الوقت مهماً بعض الشيء.

دانة: حاضر حبيبي.

احتضن خالد بنتيه ضحى وفجرأ، وتبسّم تبسّم المكروه، وقال بصوت من يحاول أن يتمالك نفسه: وأنا أيضاً سوف أرافقكما، لنقضي وقتاً ممتعاً بصحبة جدكما وجدتكما، لكن أرجوكم لا ترهقاني معكما في المذاكرة؛ فليس عندي من الصبر مثل أمكما.....

هنا انفجرت البنتان بالبكاء، ولم يستطع أبوهما أن يتحكم في دموعه التي انهمرت أيضاً كسيل جارٍ ظل مكبوتاً فترة من الزمن...

يا له من شعور حزين، يا لها من لحظات صعبة، أن تفتح عينيك لترى الحياة الطبيعية كما هي كل يوم، فإذا بك تراها قد انقلبت رأساً على عقب؛ فلم يعد لم الشمل كما كان، ولم تعد العادات اليومية كما كانت، يا ليت ذلك بإرادتنا، فإننا نميل إلى كسر الملل دوماً، ولكنه اليوم رغماً عنا، وعلى غير موعد، ولم نكن نعمل له أي حساب،

صقر جزيرة الأحلام

وليت الأمر جاء من عدو واضح العداوة، ولكنه مع الأسف أتى من الذي ترتجى مودته، وطعنة جاءت من قريب فإن ألمها أعظم، وجرحها أعمق.

كل هذا قد اعتمل في نفوس الجميع، وقد عبروا عنه بالبكاء الحار، ولكن ماذا يفعلون؟ فليس لديهم إلا الصبر والرضا.

ولئن كانت تلك مأساة أسرة خالد وهم في جزيرة الأحلام، فإن مأساة ابنه عبد الله ربما تكون أشد وأقسى؛ فماذا سيفعل حيال حاله ومزارعه، وعماله وأرضه، إن صح القول إن الحكومة في (ساسا) ستطردهم؟

وهناك في غرفة مجاورة، غرفة نايف وخالدة، ليست الأمور أحسن حالاً من غرفة خالد وأسرته؛ فلم تتعود خالدة المكوث في البيت كثيراً، فلديها شركتها وموظفوها وعملها الخاص الذي تديره بشغف، وها هي الآن مضطرة إلى تركه لفترة من الزمن، لا تدري هل تطول تلك الفترة أم تقصر؟

بل ربما تكون مضطرة أيضاً إلى كتابة شركتها باسم زوجها نايف، وليس في الأمر غضاضة، لكنها لم تفكر في الأمر يوماً من الأيام بتلك الطريقة، فقد صارت أسيرة بعدما كانت حرة، وهو ما لا تتقبله بنت تربت وترعرعت على الحرية منذ نعومة أظفارها.

استجمعت خالدة قواها وما تملك من عزم، بعدما مرت لحظات الصدمة الأولى؛ لتزيل هذا الركام المتكاثف من الحزن في نفسها ونفس من حولها؛ فقد تعودوا منها أن تكون رابطة الجأش في أحلك الظروف التي تمر بأي واحد منهم، فلا بد وأن تضطلع بمهمتها التي تصدرت لها، وصارت وسمماً عليها.

فجلست مع زوجها نايف وابنتها خليفة وناصر في جلسة دائرية، أمامها زوجها، بينما ولداها عن يمينها وشمالها، وهي تضع يديها على أكتافهما؛ لتثبت من عزيמתهم جميعاً، وتهديء من روعهم، وليضعوا معاً النقاط على الحروف، فتلك أزمة لا بد أن تمر، ولا بد ألا تلين لهم قناة في مواجهتها.

قالت وهي توزع نظراتها عليهم: قدر الله وما شاء فعل، ولن نندب حظنا، فلعل مصيبتنا أقل من مصيبة غيرنا، ولن تصفو الحياة على الدوام، لذلك سميت بالحياة الدنيا، فما علينا إلا أن نواجه الأمر بثبات، حتى نجتاز تلك المرحلة بإذن الله، أنت يا أبا ناصر..... ما عليك إلا أن تسافر لتمارس عملك، ونتابع معاً بالهاتف على مدار

صقر جزيرة الأحلام

الساعة، ولعلها فرصة كبيرة لأعيد حساباتي مع نفسي، وأقضي وقتاً مع أبنائي وأحبائي ناصر وخليفة، فأنا أشعر بالاشتياق إليهما والحديث معهما أكثر وأكثر.

أما ناصر فقد نظر إلى أبيه على استحياء؛ خوفاً من أن تقع عينه على عين أبيه فيجهد بالبكاء، ثم لا يستطيع إكمال الحديث، وقال: تعديني يا أبي أن تظل تشاركنا حياتنا، وألا تنسانا في زحمة العمل؟

الأب: الأمر لا يحتاج إلى وعد مني يا ناصر؛ فأنتم في سويداء القلب تسكنون، ولا أتصور الحياة بدونكم أبداً، اطمئن يا حبيبي، فقد نذرت نفسي لراحتكم، ولن أترك لأي شيء في تلك الدنيا مجالاً ليحول بيني وبينكم، وأنت يا خليفتي...!! ألا تحب أن توصي بشيء؟؟

خليفة: إن كان لا بد من الكلام، فإنني أعلم مدى سهركما على راحتنا وأن كل هذا الجهد، إنما تفعلاه من أجلنا، فلسوف نكون عند حسن ظنكما بإذن الله، لا تفكر يا أبي، ولا تفكري كثيراً يا أمي، ولا تنسوا أنكم أنجبتهم رجالاً.....

ضربت أمه على كتفه وقالت: لله درك، أثلجت صدورنا والله، أنت وأخوك، واحتضنتهما بعدما اعتبروا هذه الجلسة ميثاق شرف بينهم على الصبر والمثابرة حتى يقضي الله أمراً....

خرج الأولاد والبنات تاركين آباءهم وأمهم؛ فربما تكون تلك اللحظات مهمة ليفضي كل منهم إلى شريك حياته، وجلسوا جميعاً في حديقة البيت، على أرائكهم المعدة دوماً لجلسات سمرهم.

وإذا بهم يسمعون صوت فجر وهي تهمس: مسكين!!!

نظروا إليها جميعاً وقالوا في اللحظة نفسها: من؟ من ذلك المسكين يا فجر؟

فجر: عمي محسن.....

ونظرت بعينها بعيداً، فهناك على كرسي منفرد بجوار سور الفيلا من الداخل، حيث يجلس عمها محسن، تظله شجرة من شجر المانجو، والهاتف على أذنه، ويده الأخرى تمسك بجذع الشجرة...

ما إن رأى الأولاد هذا المنظر الرومانسي الغريب؛ في هذا الوقت الرهيب العصيب، حتى نظر كل منهم إلى الآخر وانفجروا بالضحك الهستيري، لا يعرفون لماذا يضحكون، ربما لأن محسن هو الأقرب إليهم في العمر، فهم

صقر جزيرة الأحلام

يتبسطون معه في الحديث، وليس بينهم هيبه العم والخال التي يشعرون بها مع الكبار، وربما ضحكوا لأنهم يعلمون أنه الآن يبكي على حاله، وأنه لم يعد يستطيع الذهاب إلى (دمدم)، وبالتالي فقد انقطع أمله في الزواج ممن اختارها.

لاحظ محسن ضحكات الأولاد والبنات، فأشار إليهم، وأمسك بذقنه يتوعدهم، وأكمل حديثه....

كان على الجانب الآخر من المحادثة تلك الإنسانية التي لطالما حلم محسن أن يتزوجها، وأن تكون أمماً لأولاده، حلم أن تكون هي شريكته في تلك الحياة، على حلوها ومرها، فلم يكن يرى حين ينظر إلا وجهها، ولم يكن يسمع حين يسمع إلا أصداً صوتها، ولم يتصور يوماً أن يحال بينه وبين من ملكت عليه نفسه وجوارحه، ولكنه اليوم كاد أن يفقد الأمل في ذلك؛ بعد أن تقطعت الوشائج بين الجُزُر الجارة، وانهارت آمالٌ وأحلامٌ ظلت تُبنى منذ أمد بعيد.....

محسن، وقد علا صوته المضطرب: هل أنت مقتنعة بالكلام الذي تقولينه يا شذى؟

شذى: نعم، مقتنعة تماماً.

ظن محسن أن الأمر لا يعدو كونه سوء فهم للأمر، وأن بإمكانه أن يعيد الأمور إلى نصابها سريعاً، فهكذا ثقة المحبين، يرون بعين الحب الكليّة، التي لا ترى كثيراً من الأشياء، رغم وضوحها كالشمس في رابعة النهار، فتحول لناصح ومرشد، ربما ينفع النصيح أو يجدي الإرشاد.

محسن: لكن هذا لم يكن كلامك في آخر مرة تكلمنا فيها عن المستقبل الذي نحلم به، وأنت تعلمين أننا كشعوب ليس لنا في هذه اللعبة ناقة ولا جمل، وأن ترابطنا كأهل وجيران أكبر من هذه الحسابات السياسية.

شذى: بضحكة غريبة توجي بالسخرية: دعك من هذه الشعارات يا محسن، أنا أريد أن أبدأ حياتي، لا أن أنهيهما، ما الذي يدفعني للتضحية بعمرى من أجل علاقة لن يسمح لها بالبقاء، ولماذا التحدي؟ ولماذا تريدني أن أخرج عن طاعة أولياء أمري، وأنت تعلم جيداً أنني من بيتٍ سياسي كابرٍ عن كابر، ولا يسعني إلا أن أدور في فلّكهم.

أيقن المسكين أن نصحه لن يجدي نفعاً أمام هذا الصلف والعناد، إلا أن قلبه ما زال متيمماً بتلك الفتاة التي لم يتوقع فراقها، فلم يمنعه عنادها وصلفها من أن ينهي المكالمة بأرق الأمنيات لها، ليظل متماسكاً حتى آخر لحظة، قائلاً:

عموماً يا شذى، أتمنى لك التوفيق، وأن يرزقك الله بابن الحلال.

شذى: لا عليك يا محسن، بنات الحلال كُثُر، لا تقلق لشأني، ولكن اعني أنت بنفسك، وإن استطعت أن تنجو بنفسك من الجزيرة التي تعيش فيها وتسافر لأي مكان آخر، يكون ذلك أفضل لك. فأنت لا تدري العاقبة... سلام.

محسن: لا لا تغلقي الخط؛ عندي كلمة أخيرة أريد أن أقولها، لعلك تتذكرينها يوماً ما.

كانت الجملة الأخيرة التي طرقت مسامع محسن عبر الهاتف، حيث تنصحه شذى بمغادرة جزيرته، بمثابة صفعلة قوية على وجهه، احمر لها وجهه، وتمزقت أوصاله، ولم يعد يتحكم في أعصابه، ولكنه سرعان ما تماسك، واستفاق من غفلته، وأراد أن يلحق (شذى) درساً في الوفاء لن تنساه، فقام واقفاً، ممسكاً بقوة بظهر كرسيه الذي كان جالساً عليه، وبقوة بركان تراءت أمامه ثغرة يستطيع أن ينفذ منها، وبنبرة الواثق من نفسه، المؤمن بقضيته، انطلق محسن في الحديث قائلاً: إن تلك الجزيرة التي أنتسب إليها، لهي شرفٌ لكل من يبحث عن الشرف، على أرضها وضعت الأمانة والوفاء، ومن مائها شربت الحرية والصفاء، وعلى ضفاف بحرها تعلمت الثبات والولاء، ليست شعارات كما أسميتها، ولكنها حب يجري في الشرايين، وعشق يختلط بالدماء والأعصاب، ولست نادماً أبداً على فقدِ عشرات من أمثالك، غرتهم الأماني وعاشوا في الأوهام، ولسوف يأتي اليوم الذي تدركين فيه أن ما تثقين فيه إنما هو سراب بقبعة يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

أغلق محسن هاتفه، وتوجه إلى الأولاد والبنات في وسط الحديقة، وحاله كحال من وضعت عنه أوزاره، فهو الآن يطير محلقاً في الفضاء بكل حرية، لا يجذبه إلى الأرض شيء، حتى جلس معهم، وقال: أعرف لماذا تضحكون، ولكن..... لقد ولدت اليوم من جديد.

نظروا جميعاً إلى بعضهم....

وانخرطوا في الضحك مرة ثانية.

تكلم هو بكل ثقة وجدية قائلاً: حقاً ما أقول، لقد تعلمت اليوم درساً لم أتعلمه من قبل، تعلمت أن الكرامة التي غرسها فينا أجدادنا تعلقو على متاع الدنيا بأسرها، وأن العزة والشموخ الذي ورثناه عن أسلافنا لا نستطيع أن نعيش بدونها، وإلا فالموت أفضل من حياة بدون عزة وبدون كرامة.

فجر: أبشر يا خليفة!!! لقد ازدادت عائلتنا فيلسوفاً.

ضحك الجميع ضحكة من القلب وقالوا مرحبين: أهلاً بالفيلسوف الجديد.

كان على محسن أن يقرر ما إذا كان سيسافر إلى أخيه في أمريكا ليكمل دراسته هناك، أو يدخل التعليم المحلي، الذي كان متاحاً لكل أصحاب تلك الظروف الاضطرارية، وبعد تفكير عميق ومشاورات بين أفراد العائلة، استقر على أن يكمل دراسته داخل الدولة، لاسيما وأن جرحه لم يكن قد التأم بعد، فقد رأى أنه في وسط أهله سوف يكون أكثر راحة، وأهدأ بالأ.

وقد عملت الجزيرة على استيعاب جميع أبنائها الراغبين بالالتحاق بجامعة ومدارسها، وأعدت العدة لاستقبالهم، ووفرت لهم أعلى الكفاءات من معلمين وإداريين، بل ومختصين نفسيين؛ فقد كان الأمر بالغ الصعوبة على كثير من الطلاب الذين اضطروا إلى تحويل دراستهم فجأة، وكان لزاماً على ولاة الأمر أن يتوقعوا بعض المشكلات النفسية المتعلقة بالحدث، من انتقال الدراسة إلى مكان جديد، ومن مفارقة الأب أو الأم فجأة، ومن تغيير البيئة العامة والأصدقاء، كل هذا قد شكل ضغوطاً كبيرة على نفوس الكثيرين.

وكان أحد أفراد عائلة الشيخ راضي ضحية الاكتئاب النفسي مما أصابه وأصاب عائلته، فظهرت عليه علامات قلق وتوتر، وصار كثير الانفعال على أقل الأسباب، صار ينام كثيراً، لم يعد يبالي بأمر التعليم ولا المذاكرة والتحصيل، حاول المشرف النفسي في المدرسة أن يساعده على تجاوز أزمته، ولكن دون جدوى، كثرت مشكلاته مع المدرسين، ومشاجراته مع أصحاب الدراسة، ثم حاولت إدارة المدرسة استيعابه منفرداً، وتوفير كل أسباب الراحة والهدوء النفسي، لكنه لم يتقبل ذلك ولم يتفاعل معه، مما اضطرت إدارة المدرسة لعدم السماح له بالدخول إليها مرة أخرى، بعدما فقدوا كل أسباب التواصل معه لإقناعه بمواصلة الدراسة، إلا أنهم قد أوصوا أسرته بعدم اليأس، وأن يواصلوا جهدهم معه، وسوف تكون المدرسة متاحة له في أي وقت تتحسن فيه حاله.

علمت ضحى أن ناصر ابن عمته قد تم استبعاده من المدرسة، وهي تعلم أنه على خلق، وأنه إنسان يحمل في قلبه الكثير والكثير من المشاعر النبيلة، ولكن الظروف التي مر بها هي التي أثرت عليه بهذا التغيير الكبير؛ وكانت تشعر تجاهه بنوع من التوافق الروحي لحد ما، فقررت أن تقف بجانب ابن عمته، وتؤازره في محنته، ولكن على طريقتها الخاصة، فهي تعلم أنها لن تتمكن من المشاغبات والمشاجرات التي يفعلها الأولاد من البنين، ولن يسمح

صقر جزيرة الأحلام

لها أهلها بالبقاء في البيت بدون عذر؛ فبدأت تتعلل بالمرض معظم الأيام، وحين تذهب إلى الطبيب يتبين من الفحص أنها سليمة وما بها من شيء...

شعر أبوها بشيء غريب!! ومضى يحدث نفسه قائلاً: لم أعود من ضحى أن تكذب علينا، ولا أن تتعلل بالمرض لعدم الذهاب إلى المدرسة.. إذن ماذا حدث؟؟ هل ستدخل هي الأخرى في حالة اكتئاب يصعب معها إكمال تعليمها كما حدث لابن عمتها؟؟

أم أن هناك في المدرسة شيئاً ينفرها من الدراسة؟؟

وبالفعل...توجه إلى المدرسة ليسأل عن أحوالها ويتعرف من مدرسها كيف هي في الصف، وكيف هي مع صديقاتها؟

كانت الإجابات كلها إيجابية، فلم يلحظ عليها أحد أي سلوك سلبي، بل على العكس تماماً، فهي من أوائل الصف، والجميع يثنى عليها، وعلى مستواها العلمي والخلقي.

عاد والدها مهموماً مشغولاً...!! سألت أختها: هل تعرفين ماذا حدث لأختك يا فجر؟ ولماذا تغيرت هكذا؟

أجابت فجر: لا يا أبي، فهي لم تعد تحكي لي كما كانت من قبل.

لم يجد أبوها بُدأً من الحديث معها مباشرة؛ حتى يتبين الأمر منها شخصياً...

طلب منها أن تصحبه في نزهة على أطراف الجزيرة، وأنه سوف يحضر لها الآيس كريم الذي تحبه....

فهمت ضحى ماذا يريد أبوها...

قالت: عندي طلب مع الآيس كريم.

تبسم أبوها وقال: اطلبي ما تشائين يا قلبي.

قالت: طلبي بسيط، وهو أن تأتي معنا أختي فجر.

أبوها: لا بأس، سبحان الله!! لها نصيب في الآيس كريم، ثم ضحكوا جميعاً وقاموا للنزهة.

صقر جزيرة الأحلام

وها هي الشمس توشك على الغروب، والنسمات العليقة تداعب صفحات المياه، فتتحرك معها المشاعر الراكدة، وتثير في النفس أحاسيسها الكامنة، وتبعث على الراحة والسرور والفرح والحبور...

وعلى وقع أصوات المثلجات وهي تذوب على ألسنتهم، نظرت ضحى إلى أبيها، وقالت: أعلم جيداً يا أبي كم هو حبك لي وخوفك عليّ، وأعلم أيضاً السبب الذي دعاك لتصحبي إلى الكورنيش، وتغريني بالمثلجات التي لا أستطيع مقاومتها، وسوف أقصر عليك المسافة جداً جداً؛ لأنني أيضاً أحبك حباً جماً، وأكاد أحترق من داخلي إذا رأيت على جبينك علامات الفكر أو الهم..... أبي وحببي، القصة بكل بساطة، أنني وجدت ابن عمتي وقد أصابه ما أصابه من الاكتئاب الشديد لبعد والده عنه في هذه الظروف، وهو إنسان مرهف الحس، ولم يجد من يحتويه، ووجدتك يا أبي مشغولاً بنا، وتخاف علينا من نسمة الهواء، لكن في الوقت نفسه لم تشغل بالك كثيراً بأمر ناصر، فأحببت أن تشعر بشكل عملي بما يشعر به عمي نايف وعمتي خالدة، وأن تقف بجانب عمتي في تلك المحنة.

أبوها: أنت مُحقة يا ضحى في كل كلمة تقولينها الآن، وإن كنت فعلت ذلك لأسباب خاصة جداً، ليس بالضرورة أن تعرفها الآن، ولكن.... ما يسعني قوله: هو أنني مستعد لفعل أي شيء لمساعدة ابن أختي، فماذا تأمرين يا ملكة؟

ضحى: أما وقد وصلنا إلى هذه المرحلة... فدعني أتكى قليلاً، ومن فضلك اطلب لي مثلجات بعد، (ضحكات من الجميع).

ابتدأ والد ضحى في تحديد المهام المطلوبة من كل واحد في العائلة، وطلب إلى مستشارين تربويين مساعدته، وقام كل منهم بما كلف به من مهام، وصارت حال ناصر تتحسن يوماً بعد يوم، وها هو في مقدمة الصف، بعدما كاد أن يضيع من عائلته، بل ومن نفسه.

هاتف خالد في الوضع الصامت يضيء!!

من المتصل؟

إنه نايف.....

فتح خالد الخط، وعلى الجانب الآخر نايف يبكي وينتحب...

خالد: ما بك يا أبا ناصر؟

نايف: أنت تعرف ما بي يا أبا عبد الله، أنا مدين لك بعمري كله، لقد كنت أظن أنك ستكون آخر إنسان على وجه الأرض يمد يده لمساعدة ابني، ولكنك قد عملت بأصلك الطاهر الشريف، وتناسيت ما بدر مني بحقك في الماضي، ويومها كنت أنا المخطئ، ولكنه الكبر الذي دعاني إلى أن أوغر صدرك، وأجعل طلاق أختك خالدة معلقاً بمساعدتك لأي من أولادي في أي ظرف من الظروف، كنت أتمنى أن أطلب منك العفو والسماح، وأن تقف بجانب ولدي، لكن أخذتني عزة النفس مأخذاً آخر، ولكنك أثبت لي شهامتك ورجولتك ووفاءك، ودينتك في رقبتى ما حييت يا خالد، وأختك في قلبي وشرابي ودمي ما حييت، فكما طلقتهما وهي لا تعلم، فإني أعيدها أيضاً وهي لا تعلم، فلم تنته شهور العدة بعد، وأرجوك أن تستر علي هذا الأمر، فلا أتحمل نظرة عتاب من أختك.

خالد: لك ما أردت يا نايف، ولن يعرف أحد كائناً من كان السر الذي بيننا، وفي الأول والآخر نحن أهل، وكما يقولون: (الدم لا يصير ماءً يا رجل)، يبقى فقط أن تعتني بنفسك، ومنتظر رؤيتك قريباً بإذن الله.

نايف: كل يوم يمر وأنا أكتشف فيكم سمو الأخلاق، وصفاء النفس، فنعم الأصهار أنتم، وإن شاء الله قريباً نلتقي، ولكم في رقبتى دين من ديون المعروف، لا يقضى إلا أن يشاء الله... في أمان الله... في أمان الله...

نساء وأي نساء!!!

وفي جلستهم المعتادة، يجلسون جميعاً يتجادبون أطراف الحديث، ويناقشون ما طرأ من أحداث للقريب والبعيد،

سألت فجر قائلة: ما بال أخي عبد الله؟ لم نعد نسمع عن أخباره شيئاً..

تبادل أبوها مع جدها نظرات مريبة، ثم قال جدها: اطمئني يا بُنيّتي، إنه بخير والحمد لله، ونحن في انتظاره اليوم أو غداً بإذن الله...

فجر: ولماذا أنتما حزنان هكذا؟ إن قدوم أخي ينبغي أن يدعو للفرح وليس الحزن، إلا إذا كانت الأمور على غير ما يرام.

الجد: نعم يا بُنيّتي، الأمور معه ليست على ما يرام، لكن... على كل حال سوف نراه ونطمئن عليه.

أخذت الحيرة مأخذها ووجد الشك طريقه إلى قلوب الحاضرين الذين لا يعرفون طبيعة ما حدث لعبد الله، ثم عادوا إلى حديثهم عن إدارة الأزمة، وكيف أن حكومتهم الرشيدة قد استطاعت من اللحظة الأولى أن تمتص الصدمة، ولا تتهور بأي تصرف، قولاً كان أو فعلاً.

سأل خليفة: هل نستطيع أن نلخص رد قادتنا؟

خالد: نعم نستطيع...

لقد كانوا واضحين تمام الوضوح من اللحظة الأولى، أن اليد التي تمس سيادتنا لا تستحق إلا القطع، وأن إرادتنا حرة في اتخاذ أي قرار نراه صالحاً لشعبنا، وخاض الإعلام الصادق أروع ملحمة عرفها التاريخ في العصر الحديث؛ مُفنداً كل الأكاذيب والافتراءات التي كادت أن تمس من كرامتنا، وموضحاً على الجانب الآخر كل جوانب الحق والعدالة والحرية التي نتمتع بها، والتي كانت سبباً في تأجيج نار الحقد والغل عند ضعاف النفوس....

هنا تدخل خليفة قائلاً: وكيف حال القائد؟؟

صقر جزيرة الأحلام

إنني لم أسمعته يتحدث كثيراً، ولا أحفظ عنه في هذه المحنة إلا بعض كلمات قليلة، ولعلكم جميعاً تحفظونها، منها مثلاً... (أبشروا بالعز والخير)، (قيمنا وعاداتنا وديننا يرفضون ذلك الذي حدث)، (لقد اكتشف شعبنا مكامن قوته)، (نرحب بالحوار بدون شروط مسبقة).

والحقيقة أنني كنت أود أن نباغتهم كما باغتنا، وأن نرهيم قوتنا.

الجد: لو غيرك قالها يا فيلسوف؟؟

إن السر في حفظنا جميعاً لتلك الكلمات هو مكن قوتها، وإلا فماذا يفيد كلام كثير لا ينبني عليه عمل، والحق أنه قال أكثر مما ذكرت أنت الآن، إلا أن ما ذكرته يكفي لأن تحاصر الحصار الذي حاصرنا، فقد عمل قائدنا على رفع الروح المعنوية لكل من يقيم على هذه الأرض الطيبة، فتراه وهو في أحلك الظروف يبشر بالعز والخير، مقتدياً بحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، حين كانوا يحفرون الخندق وعرضت لهم صخرة كبيرة، فانتدبوا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ضرب عليها بالمعول قال: الله أكبر... فتحت قسطنطينية، ثم ضرب عليها ثانية وقال: الله أكبر... فتحت رومية، ووقتها قال ضعاف النفوس من المنافقين متهمين ساخرين: يبشر أصحابه بالفتوحات، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب للخلاء!!

ثم إننا فعلاً أدركنا مكامن قوتنا، وبغير هذا الحصار لم نكن لندركها بهذا الحجم، أنت الآن تشرب وتأكل من أرضك ومزارعك، بل بدأت تنشئ صناعات جديدة في مجالات شتى.

وحين يحيلهم إلى القيم والعادات والتقاليد والدين، فإنه يعلم ما لهذه الأمور في نفوس الشعوب العربية والمسلمة من وقع عظيم، وإن وقع هذه الكلمات سيكون أعظم من وقع المدافع والدبابات، فهو ينقل الصراع إلى نفوس جميع المخلصين من أبناء الأمة، وما تمسك أحد بأخلاق الإسلام في السلم والحرب إلا كانت له الغلبة يا بني، وفي التاريخ عبرة.

وفي آخر ما ذكرته في كلامك الآن دليل واضح على وجود القوة، والإرادة الكاملة التي لا تقبل المساس بها، فهو حوار، ولكنه غير مشروط، فلسنا الذين يملي علينا أحد شروطه.

خليفة وقد تهلل وجهه بالفرح وبدت عليه علامات السعادة: الحمد لله، كم استراح قلبي.

الجد: قوموا إلى أماكنكم يرحمكم الله.

صفتى جزيرة الأحلام

نام الجميع ليلتهم، وهم على أمل أن يطرق الباب، ليكون هو عبد الله، الذي طال انتظاره، فهم ينتظرونه وما بجعبته من قصص وحكايات، ومواقف ربما يكون قد مر بها في الأيام الماضية....

وما أن مالت الشمس للغروب في اليوم التالي حتى تحقق حلمهم، وإذا بعبدالله بالباب!!

يا له من منظر عجيب!! ليس هذا عبد الله الذي نعرفه؛ لقد غطى الغبار وجهه وشعره، ورائحة السفر تفوح منه عن بعد، وعيناه مرهقتان، ولا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه....

تلقفته أيادي عائلته، كل منهم يلصق نفسه به ليتكى عليه، حتى جلس على أريكة بينهم، أتوا له بماء وعصير بارد.....، شرب.....، ثم نزل ليجلس على الأرض ويمد رجليه المنهكتين من شدة التعب،

ثم قال: الحمد لله أن أمي ليست هنا اليوم؛ فلم تكن لتتحمل أن تراني وأنا على تلك الحال....

جدته الشيخة حسنية: حمداً لله على سلامتك يا ولدي، قد ضاع مني الحج هذا العام للأمر الذي تعلم، وكنت حزينة كل الحزن على ذلك، وزاد من حزني أنني لا أستطيع رؤيتك، فأنت ابن الحبيب، وكما يقولون: (أعز الولد ولد الولد)، أما وقد رأيتك فقد زال نصف همي، وأسأل الله أن يزيل النصف الآخر من الهم، وذلك بزيارة بيته الحرام في العام القادم.....

عبد الله: بإذن الله يا أمي الغالية وجدتي الحنونة، ونكون صحبة إن شاء الله.... آمين.

خالد، قام وأخذ بيد ولده، وأقامه، وقبل جبهته، وطلب منه أن يغتسل ويعود وهم في انتظاره على أحر من الجمر.

دقائق معدودة وكان الطعام ينتظر عبد الله الذي يبدو عليه الجوع، وكأنه لم يذق طعاماً منذ شهر، جلس عبد الله إلى مائدة الطعام، وتهد تنهيدة طويلة، ثم قال: الحمد لله على نعمة الأمن والأمان.

فقالوا جميعاً: اللهم أدمها نعمة واحفظها من الزوال.

أتم عبد الله طعامه، ثم قام إلى جده، وجدته يقبل أيديهما، ويحتضن أباه وأختيه، ويعانق عمته وأولادها، ويتسم لعمه محسن ويعانقه، والكل تغمره مشاعر الفرح الممزوج بالحزن، فتارة تدمع العين فرحاً، وتارة تدمع ترحاً، واختلطت المشاعر، حتى قام خليفة وهو يمثل أن بيده عوداً يعزف عليه سيمفونية حزينة؛ ليلفت

صقر جزيرة الأحلام

الأنظار إليه بشيء من المرح، وليقطع هذا اللحن الحزين الذي يراه حقيقة ماثلة أمامه بلحن حزين على سبيل الفكاهة والطرافة، حتى أضحك الحاضرين جميعاً،،، واتجه إليه خاله محسن قائلاً: كنا نظنك فيلسوفاً فقط، ولكن يبدو أنك طبيب نفسي أيضاً...

رَبَّتْ خالد على كتف ابنه عبد الله وقال: لعلك بحاجة إلى قسط من الراحة؟؟

عبد الله: لقد زال عني التعب يا أبي حين رأيتمكم.

فجر: الله أكبر الله أكبر،

معك للفجر يا أخي؛ لتحكي لنا مغامراتك وتشاركنا إياها لحظة بلحظة....

عبد الله: الحقيقة إنني لا أعرف من أين أبدأ....

لكن على كل حال، فإن قصتي لم تكن بالسعيدة أبداً.....

فلم يمض إلا بضعة أشهر على وفاة زوجتي، التي كانت سنداً لي في غربتي، وليس في الخلق من يعوضني عنها، فلم أنسها لحظة واحدة، فقد كانت نعم الزوج ونعم الرفيق، لم أغضب منها يوماً، كانت صابرة محتسبة، حتى صعدت روحها إلى بارئها، ولا أنسى وصيتها لي وهي في سكراتها الأخيرة حين قالت: ما دمت تطعمنا من حلال فلا تحزن على أي مفقود، حتى لو كنت أنا المفقودة.

لكن الحقيقة أنني في الحقيقة استطعت أن أنفذ وصيتها في كل شيء ما عدا فراقها، فلست أستطيع تحمله، ولست أملُّ من الحديث عنها ما حييت، ثم دمعت عيناه دموعاً حارة كالتي سألت منه يوم فراقها، وهنا لم يجد الحاضرون سبيلاً إلى منع دموعهم، حتى طلب خليفة من عبد الله أن يكمل حديثه قائلاً: وماذا بعد؟

مسح عبد الله دموعه المنسابة على خدوده، ثم استطرد في الحديث قائلاً:

حتى جاءني هذا الخبر الصادم بالحصار، ليزيد من لوعتي،

فمنذ أعلنت الجزرُ الأربع حصار جزيرتنا الحبيبة، ونحن نعاني معاناة لا يعلمها إلا الله،

صقر جزيرة الأحلام

حاولنا جاهدين أن نثبت لهم أننا أهل، وأن بيننا وشائج وأنساب، لا يليق أن تذوب بين عشية وضحاها، لم أكن أتصور يوماً أن هذه العمائم البيضاء، وهذه الابتسامات الظاهرة، تنطوي على حقد أسود متراكم عبر السنين، ما إن فُتحت خزائنه حتى طغى سواده على بياض العمائم والجلابيب، وتكاد كلما نظرت يميناً أو شمالاً لا ترى إلا حقداً أسود في صورة إنسان، وأشباحاً لبغض بغيض لا تخفيه روائح المسك والعود.

... اختبأت في الفترة الأولى عند بعض الأصدقاء من إخواننا من جزيرة (مرمر)، ممن تربوا على الشهامة والرجولة والوفاء، فكانوا خير عونٍ لي وخير سند، فلم أحتج لشيء إلا تسارعوا لينجزوه، كانوا دائماً يثنون علينا وعلى قيادتنا، وحسن تعاطيهم مع المنحة (أنا أسميها منحة وليست محنة) التي تعرضت لها البلاد، ويشدون من عزمي، ويثبتون لي أن الشعوب ليست كلها على دين الحكام، وأنه سوف يأتي اليوم الذي تنقشع فيه الظلمة، ليرى العالم كله أننا إخوة، وأن علاقتنا ستظل قوية على مر الأزمان والدهور، حتى علمت أن السلطات قد نُرعت الرحمة من قلوبهم، فلم تنج من طغيانهم الدواب، فقد حكموا عليها بالطرد هي الأخرى، فكانوا يعمدون إلى كل مزارعنا ويطردون الإبل، ليتركوها تهيم في الصحراء بلا راعٍ ولا مرعى، وأنتم تعلمون علم اليقين، أن الذي يتعامل مع الإبل أو أي نوع من الدواب، تصل به الحال إلى أن يحبهم كما يحب أولاده تماماً بتمام، فضلاً عن أن تلك الثروة قد ظللنا ننمينا عاماً بعد عام، وننفق عليها من عرقنا ومن دمنا.....!!

استأذنت من أصحابي أن أخرج لبعض الوقت ثم أعود، ولولا ذلك ما تركوني؛ فقد كانوا شديدي الحرص على أن أستمع معهم حتى تهدأ الأوضاع، أو أن يساعدوني على الخروج بطريقة كريمة.

خرجت هائماً على وجهي، لا أعلم لي وجهة، ذهبت إلى مزرعتي، لأتفقدتها، ظناً مني أن يد الظلم لم تصل إليها، وكانت الفاجعة، لقد طردوا منها كل الإبل، حتى التي كانت عُشراء، والصغار التي لا تستطيع الاعتماد على نفسها، لم أجد على باب المزرعة إلا عاملاً من عمالي، يجلس واضعاً رأسه بين رجليه وهو يبكي بكاء حاراً، فأخرجت من جيبي مالاً وأعطيته له، فجعل يقول: سامحني يا شيخ عبد الله، فوالله لو استطعت أن أفدي تلك الأرواح بنفسني لفعلت، ولكن لا شيء يجدي مع هؤلاء...

ولأول وهلة، ومن فرط الصدمة، خرجت أندب حظي، وأبحث عن الإبل في الصحراء، وكلما امتد بي الطريق أرى إبلاً قد نَفَقَتْ، وأحياناً أراها وهي تحتضر، وتعاني السكرات، وليس بيدي أي شيء أقدمه لها...حتى جلست إلى ناقة من مزرعتي، عرفنتي وعرفتها، كيف لا؟ وقد تعودت ألا أتركها للمبيت كل يوم حتى أمسح بيدي على رقبتها،

صقر جزيرة الأحلام

فلا تهدأ وتخلد للمبيت إلا بذلك، بخلاف مثيلاتها من الإبل، حتى جلست بجوارها وهي ملقاة على الأرض، أخذها الحنين حتى كانت تضع رأسها على حجري وكأنها تودعني، وتخرج من فمها رغاء، علمت أنها لحظة مفارقتها للحياة، وكأنها كانت تعتذر إلي لأنها خرجت دون إذني، فقد كانت عاداتهم أن ينتظروا الأوامر أولاً ليتوجهوا حيث نريد، أو ربما أرادت أن تقول لي: لقد تأخرت عني كثيراً حتى هلكتُ، وأنا في انتظارك حتى تمسح على رقبتك للمرة الأخيرة لأرقد الرقاد الأخير الذي لا لقاء بعده، فلم أستطع أن أتمالك نفسي، ووجدتني أجهش بالبكاء، وأمسح على رقبتها حتى فارقت الحياة، وشعرت وقتها بقلعة حيلة قاتلة، ونيران كادت تلتهم قلبي المجروح، لولا عناية الله، الذي ألقى عليّ الصبر واليقين....

نسيت أنني لم أتناول طعاماً منذ الصباح، وقد أقبل الليل يرخي سدوله، فعمدت إلى بعض طعام كان في السيارة، وشربت بعض الماء حتى أتقوى على رحلة المجهول القادمة...!!

قاطعته أخته فجر ودموعها تسيل على خدودها، قائلة: هل من الممكن أن تصل قسوة القلب بالإنسان لهذا الحد، الحد الذي ينتقم فيه من الدواب؟؟

عبد الله: أنا مثلك تماماً، لم أكن أتصور ذلك، وممن؟ من أناس يعرفون قيمة الحلال، وقيمة الإبل والأنعام خاصة؟

ناصر: وماذا حدث بعد ذلك؟

عبد الله: قررت المجيء إلى وطني الحبيب؛ فليس أمامي طريق أخرى، ولما جنَّ الليل ونال مني التعب، أحببت أن أستريح في الطريق عند مجموعة من سكان البادية، رحبوا بي أول الأمر، ثم وجدت أناساً يخرجون إلى سيارتي، يركلوها ويكسرون زجاجها، ويقولون: أنت من هناك؟؟؟ ويضحكون...، ثم عمدوا إلى اللوحات المعدنية التي تحمل رقم السيارة، فانتزعوها، وألقوا بها ممزقة في عرض الطريق، كان كل كسر وكل مزق في تلك اللوحة كأنه شرخ في صدري وقلبي، تتقطع معه أوصالي، وتنتابني معه حسرات لا يعلم مداها إلا الله، لكن لم يكن أمامي إلا الهرب من تلك القلوب القاسية والنفوس المريضة....، متحسراً!

متسائلاً: هل هذا حلم أم حقيقة؟؟

صقر جزيرة الأحلام

لحقت بصديق لي في الطريق، يحمل معه أباه في سيارته، وقد نفذ منهما الماء، فحمدت الله أن معي ماء في تلك اللحظة؛ لأنقذ هذه النفس الطريفة في الصحراء من غياهب الموت كمدأ وتحسراً....

رافقتهم فيما تبقى من الرحلة، حتى اقتربت من جزيرتنا، وبدأ بريقها يبرز في الأفق، حمدتُ الله أن هدانا للخروج من هذا الجو الكئيب، وشعرت حينها بالأمان، وهذا ما ساعدنا على مواصلة السير، فإننا نحن البشر نحتاج إلى رؤية الأمل أحياناً حتى لا تُظلم الدنيا في وجوهنا....

وفعلاً كان الأمل واقعاً ولم يكن خيلاً، فقد تناقلت تلك القبيلة المشؤومة صور سيارتي على مواقع التواصل، ولعلكم رأيتموها، ولكن الحمد لله أنهم لم ينشروا صورتي....

لقد رأى بعض شبابنا تلك الصور، وعلموا أن هناك إخواناً لهم ما زالوا عالقين في البر، وقد أهينوا على هويتهم فقط، لا لجرم ارتكبه، ولا لإثم اقترفوه، فهرعوا كالبرق، لا يغمض لهم جفن، ولا يسكن لهم جنب، حتى يواسوا إخوانهم، ويمسحوا دموعهم....

وكانت المفاجأة التي أذهلتني، لا لأني لا أثق في كرم جزيرتنا، ولكن لأني كنت عاجزاً عن التفكير أصلاً في أي شيء، وكان جل همي أن يقود السيارة أحد غيري ليوصلني إلى بيتي....

لكني وجدت الحب يعانقني، والود يهتف بي من نظرات أحبائي الذين قابلونا، وقد أرادوا أن يمسخوا دمعي ويردوا كرامتي، فإذا بهم يسوقون إلينا ثلاث سيارات جديدة بدلاً من التي أهينت أمامي ركلاً وتكسيراً.

دمعت عينا من الفرحة، لهذه المشاعر الفياضة، والأحاسيس الجياشة، التي غمرتني لحظة اقترابي من الجزيرة، فهم لم ينتظروا حتى أدخل عليهم، بل قابلونا بالبشر والترحاب، وكأننا جننا فاتحين، ولم نأت مطرودين....

ضحى: بلهجة الواثقة من نفسها: طبعاً أنا كنت أكثرهم قلقاً عليك وعلى غيابك، فلا أقل من أن تمنحني سيارة من الثلاثة، لا أطمع في أكثر من ذلك...

عبد الله: بابتسامة تملأ وجهه الشاحب: ما عليك يا ضحى، لك سيارة ولأختك سيارة....

فجر: تنظر إلى أختها وهي تضحك وتقول: الحمد لله، أتنتي بغير تملق..

ضحى: لن أنسى لك هذا الموقف أبداً يا فجر...

الجد: أظن أننا جميعاً تعلمنا من قصة عبد الله دروساً لا يمحوها الزمن، أليس كذلك؟

جميعهم في صوت واحد: بلى يا جدنا الحبيب...

الجد: الحمد لله الذي رد إلينا ابننا عبد الله، ونسأله سبحانه أن يزيدنا ولا ينقصنا، ويكفينا ما سمعناه الليلة دون تعقيب، وإن كنت أعلم أن الجميع يحب أن يعقب على تلك الأحداث، ولكن نكتفي منكم بتقبيل رأس أخيكم المجاهد العظيم عبد الله؛ فهو حري بذلك لما لاقاه من أهوال.

قام الجميع يقبل رأس عبد الله؛ ترضية لقلبه، ومواساة لمشاعره، ولم تترك ضحى تلك المناسبة تمر دون لمسة جميلة، فهمست في أذن عبد الله وهي تقبل رأسه قائلة: لن أدخل غرفتي إلا ومفتاح السيارة في يدي..

هنا تبسم عبد الله، وأعطاهم مفتاح سيارتها، وأعطى فجراً مفتاح سيارتها هي الأخرى.

الجد: والآن نخلد إلى النوم؛ استعداداً للزيارة المرتقبة، لنقابل أخاكم علياً، ودانة ونايف في تركيا.....

أراد الشيخ راضي ألا يضيع فرصة اجتماع العائلة، فقد كان يحاول أن يجمعهم كلما سنحت فرصة، واليوم استطاع أن يرتب ليجمع العائلة كلها، في مكان هادئ، كما تعودوا في سفراتهم الموسمية، وكان نايف وعبد الله في انتظارهم، وقد رتبوا كل شيء، من حجز للفندق، ومواعيد الزيارات السياحية للمناطق المختلفة في المدن التركية الساحرة، ووصل الجميع في الموعد المحدد، وتقابلوا بالسلام والعناق، فقد كانوا في أشد الشوق لرؤية بعضهم بعضاً في مكان مناسب، بعيداً عن الذي تعودوا عليه في الفترة السابقة.

خلت أسرة نايف بنفسها ساعة، وطلبت خالدة من عبد الله أن يرافقهم بعض الوقت، وكانت أحاديث كلها شجون، فلقد كان نايف يريد أن يطمئن بنفسه على ولده ناصر، الذي مر بظروف صعبة كادت أن تودي بمستقبله، لولا عناية الله وتوفيقه، وكانت خالدة تحمل في جعبتها من الحكايات والمواقف التي تود الإفضاء بها لزوجها.

خالدة: علينا أن نقدم كل أنواع الشكر لأخي خالد وبنتيه؛ فقد كانوا جميعاً خير عون لي ولناصر على تجاوز المحنة، لكم أن تتصوروا أن ضحى تمنع نفسها من الذهاب إلى المدرسة لحزنها على ناصر، ولتجعل قضية ناصر

صقر جزيرة الأحلام

قضية رأي عام في العائلة حتى وصلت إلى ما تريد، أو بالأحرى أوصلتنا إلى ما نريد، من عودة ناصر إلى الدراسة، بل وتفوقه.

عبد الله: لا يخفى عليك أنهما قد رضعا معاً فترة ليست بالقليلة، فلا بد أن مشاعر الأخوة بينهما تطغى على كل ما سواها، ووالله لقد ذكرني دور ضحى في هذا الموقف بمشهد عودتي من (ساسا)، وكانت حالي لا تسُر، وحين قابلني الناس على الحدود ليرحبوا بي وليرفعوا عني الحرج الذي عانيته في الطريق، كان أكثر المستقبلين لي من النساء، تساءلت في نفسي! ما الذي أخرج النساء من بيوتهن؟ فلست ممثلاً مشهوراً أو سياسياً بارزاً؟ ولا عالماً فقيماً؟ ثم إنهن لا يعرفني!!

فكانت الإجابة من إحداهن، وكأنها قرأت ما يدور في خاطري: إننا نبحت عن أي شيء نساعدكم به في مواجهة هذا الظلم، ولم ولن نترك وسيلة نستطيع القيام بها إلا فعلناها لأجل ذلك، وحين سمعنا أن أخاً لنا يحتاج وقفنا أتيينا حتى نواسيه، وليعلم أننا جميعاً أهل له...

كادت الدموع أن تسقط من عيني أمام كلام تلك المرأة، ولكني تمالكت نفسي حتى لا يقال بكت الرجال في حضرة النساء.....

فأعظم تحية لكل بنت ولكل امرأة وقفت موقفاً إيجابياً في مواجهة الحصار، ولو كان موقفاً بسيطاً لا يراه كثير من الناس...

ثم استأذن عبد الله ليتابع اللقاء مع أسرته، حيث تقابلوا جميعاً مع أمهم القادمة من (ساسا) والتي كانت هي الأخرى تواجه مشكلة كبيرة في عودتها إلى جزيرة الأحلام، لكنها حاولت بكل الطرق حتى تمت لها الموافقة على ذلك، فكان أخوها يهددها دائماً ويقول: أختي... الأمر ليس بالهين ولا بالسهل، فأنت تعرفين حساسية وظيفتي، حيث إنني نائب وزير في (ساسا)، وعودتك إلى الجزيرة تؤثر على موقفي في العمل، فلك أن تختاري، إما أن تكوني معنا هنا أو أن تنسي أن لك إخوة بعد اليوم، فلا تعرفينا ولا نعرفك.

ظلت في حيرة من أمرها حتى توسط عمها لدى إختها، على أن تتعامل بسرية تامة، ولا تكثر من الذهاب والمجيء من وإلى جزيرة الأحلام، فوافقت..

صقر جزيرة الأحلام

أما محسن وعلي (التوأم) فقد كان لهما حوار آخر، حيث يشتاقان لبعضهما بعضاً دائماً، ويميلان إلى الإفضاء بأسرارهما لبعضهما؛ فهما يريان أنهما روح واحدة سكنت في جسدين....

علي: طمئني عنك وعن أخبارك يا محسن، وألا زلت تفكر في أمر شذى؟ أم أنك نسيتها حقاً؟

محسن: لا أخفي عنك سرّاً يا علي، لقد أحسست براحة بالغة منذ تركتها، كنت أشعر بشيء في كلامها وفي نظراتها لا يريحني، ولكنني كنت أحبها، فأخترت لها مبرراتٍ وأعداراً، حتى كانت آخر مكالمة بيني وبينها، فقد ظهرت على حقيقتها، وأخرجت كل ما في جعبتها من تدنٍ في الحوار، بل والأخلاق أيضاً، فحمدت الله كثيراً، لأنني اكتشفت ذلك واضحاً جلياً قبل أن ترتبط، وإلا لكانت مأساة... قل لي أنت... ماذا عنك؟ وهل وجدت بنت الحلال أم لا؟

علي: ابتسامه على استحياء، ثم نظر بعيداً لأعلى..

محسن: الله أكبر، بالتأكيد قد انحلت العقدة.

علي: لم أكن لأقع في الحب، لولا الحصار.

محسن: ما شاء الله تبارك الله، لو لم يكن من فوائد الحصار إلا أن يقع علي في الحب لكفى.... ضحك.

علي: أقنعتني بشخصيتها، وولائها لجزيرتنا وأميرنا وللحق والحرية، وأنت تعلم أنني لا أفعل شيئاً إلا عن اقتناع... ضحك.

محسن: ظننت أنك ستقول إنها أقنعتك بولائها لك في موقف من المواقف، أما أنك تقول لي بولائها للجزيرة، فأظن أنك أحببت قناة تليفزيونية أو محطة إخبارية... ضحك.

علي: لم تغيرك الأيام، لا زلت لا أتمالك نفسي عن الضحك من كلامك، لكن الحقيقة أنني اكتشفت عنود منذ أول أيام الحصار، هي من جزيرتنا والحمد لله، تدرس معي، لكنني لم أرها إلا في ذلك اليوم، بل قل لم أكن أعطي نفسي فرصة لأراها.

وقفت تسأل أحد المحاضرين، عن قانونية الحصار، ومدى واقعية المطالب التي يطلمها المحاصرون.....

صقر جزيرة الأحلام

رد المحاضر: بأن هذا الحصار لا يستند إلى أية دوافع قانونية، وأن تلك المطالب تنتقص من سيادة جزيرة الأحلام، وليس عليها أن توافقهم على أي منها، وأضاف: الأهم من ذلك أن جزيرة الأحلام تستطيع أن تقيم دعوى جنائية دولية ضدهم، وسوف تكون هي الرابحة قطعاً.

ردت عنود: ولماذا لم تعلن الولايات المتحدة موقفها واضحاً من أول لحظة؟

المحاضر: كوني على يقين بأن الحق منتصر، سواء وقفت الدنيا كلها معه أو خذلته، وقضيتكم عادلة ومنتصرة، عاجلاً أو آجلاً، ولكن صمودكم هو الذي يجبر العالم كله على الاعتراف بحقوقكم...

عنود: أشكرك بروفيسور.. الآن فهمت...

علي: لاحظت أن هذه البنت تملك من الهمة والعزيمة الشيء الوفير، وهي تدرك ما تقول، فسارعت إليها... أنا وبعض أصدقائنا من العرب المناصرين لقضيتنا، أوقفناها، ولم تكن متفاجئة، بل وجدناها تقول: اتبعوني، حتى جلسنا في مكان داخل قاعة الدراسة، وبدأت هي بالحديث قائلة: لا شك أنكم سمعتم ما قاله البروفيسور، والمتخصص في العلوم السياسية والقضايا الدولية، لكن، سوف أسألكم سؤالاً: ما أهم جملة قالها البروفيسور أثناء حديثه معي؟؟

علي: كنا تسعة أشخاص، كلنا أجمع على أن الكلمة المهمة في الحديث، هي (قضيتكم عادلة ومنتصرة).

فقامت واقفة وضربت بيدها على ظهر المقعد الذي كانت تجلس عليه، وقالت منفعلة: هل نحن بحاجة لأن يقول لنا أحد أن قضيتنا عادلة ومنتصرة؟ إذا لم نكن نؤمن بعدالة قضيتنا فلنذهب إلى الجحيم، غير مأسوف علينا، إن عدالة قضيتنا واضحة كالشمس في رابعة النهار، ولا ينكرها إلا من ماتت عنده خلايا الإحساس كلها، فلا يشعر بحر الشمس ولا يبصر ضوءها...

إن أهم كلمة في حديثه هي: (إن صمودكم هو الذي يجبر العالم كله على الاعتراف بحقوقكم).

علي: ولأول مرة يا محسن أشعر أن امرأة قد تكون أقوى من عصابة من الرجال، وكم نحن بحاجة إلى نساء كذلك، ولم أجدني في يوم أسعى لمخاطبة امرأة كمثل هذا اليوم، فقلت لها بغير تردد: لقد قلت للبروفيسور بعد أن أجابك: الآن فهمت، فماذا كنت تقصدين؟؟

صقر جزيرة الأحلام

عنود: بابتسامة هادئة، وكأنها كانت تريدني أن أتكلم: أقصد أن علينا واجبا لانتزاع حقنا، في عالم لا يؤمن إلا بالقوة، ولا يجوز أن نستكين ونطلب النصرة من أحد، (فما حك جلدك مثل ظفرك *** فتول أنت جميع أمرك)، لذلك فإن علينا واجباً عظيماً تجاه أمتنا وقضيتنا، وقد أتاحت لنا الفرصة لنكون نحن صوت بلادنا هنا، حيث إدارة العالم من هنا... فماذا أنتم فاعلون؟؟

علي: وكان هذا بمثابة حجر ألقته عنود بالماء، فحرك الساكن، وأثار الشجون، ولم نقم من تلك الجلسة إلا بعدما أنشأنا النواة الأولى لمنظمة تقاوم الحصار، ولا زلنا من يومها نتحرك لننشر القضية ونفند مزاعم الجُزُر المحاصرة؛ حتى وجدنا أثر ذلك من إجبار الجميع على احترام قضيتنا والاعتراف بعدالتها، وكانت عنود هي أولنا في أي توجه، وفي أي زيارة ميدانية لأي مكان...

محسن: وطبعاً حضرتك كنت الرجل الثاني في المنظمة.... ضحك.

علي: بعد أن اتكأ وعدل من رباط عنقه: طبعاً يا بني...

محسن: وماذا بعد؟؟؟

علي: حين بدأت جهودنا تثمر والحمد لله، كانت لنا حوارات على الهامش بيني وبينها، فأظهرت لها إعجابي بشجاعته وحسن إدارتها للموقف، وأظهرت هي أيضاً إعجابها ببعض الأمور عندي، ولا تسألني عنها يا محسن؛ فأنا أحب أن أحتفظ بها لنفسي... ضحك.

وأنا على أمل أن نتحدث في الموضوع مع العائلة غداً إن شاء الله لنأخذ موافقتهم على الارتباط بها...

ولا أخفيك سراً.... حين علمت أنني قادم إلى تركيا، سافرت هي إلى جزيرة الأحلام لنتقابل مع أهلها بعد رحلتنا...

محسن: ما شاء الله، وفقك الله يا علي، ولا تنسني، ضحك.

علي: لم أنسك... فقد أخفيت عنك مفاجأة...!!

محسن: مفاجأة!! ماذا؟؟؟

علي: إن لها أختاً تصغرها بسنة واحدة، ولكن عندها مشكلة..

محسن: مشكلة؟

على: هي رومانسية أكثر من أختها، ولا تميل إلى الحديث عن السياسة وقد رأيت صورتها، وخبرتي بك تقول: إنها مناسبة لك جداً...

محسن: إن كان ذلك كذلك فأنا على استعداد لإنهاء الرحلة حالياً، والعودة إلى جزيرتنا... ضحك.

أما الشيخ راضي والشيخة حسنية، فقد جلسا يتذاكران الماضي، وآخر رحلة جمعتهما في تركيا، وكيف تغيرت ملامحها الآن عن آخر زيارة.

الشيخ راضي: أتذكرين يا حسنية يوم أن جلسنا نتسامر من الصباح حتى أوشكت الشمس على الغروب، ولم نكن نعرف وقت الأذان إلا بسؤال أحد المارة ممن نتوسم فيه الصلاح؟ لقد تغيرت الدنيا هنا تماماً، فالأذان في كل مكان يرفع في وقت الصلاة، والمساجد عامرة بالشباب قبل الشيخوخ، وبالأطفال قبل الشباب....

الشيخة حسنية: يومها قلت لك: هل سيأتي اليوم الذي أرى فيه النساء في تركيا يرتدين غطاءً على رؤوسهن؟

الآن والحمد لله قد تحقق حلمي، وأشعر أنني لست غريبة في هذا البلد كما شعرت من قبل... خاصة وأنهم هنا أول من وقفوا معنا في محنتنا، فالحمد لله الذي فتح قلوبهم للنور وشرح صدورهم للحق....

الشيخ راضي: لا تنسي يا حسنية أن هذا التطور في الحياة هنا جاء نتيجة جهاد مُضن في الداخل والخارج، ندعو الله أن يوفقهم في جهادهم وأن يصرف عنهم المعوقين والمثبطين.. آمين...

قضوا جميعاً ليلة هادئة، وكلهم ينتظر الغد بفارغ الصبر؛ حتى يستمتعوا برحلتهم، ويقضوا وقتاً سعيداً معاً...

وفي اليوم التالي..... خرجوا جميعاً إلى حديقة (أمير جان)، تلك التي تطل على مضيق (البسفور)، حيث توجد بها الشلالات والبحيرات والأنهار والنوافير الاصطناعية، وتضم بعض الأشجار النادرة المتفرقة، فلا توجد بقعة في تلك الحديقة إلا وترتك في النفس طابعاً مميزاً لرونقها وجمالها، وهناك في السماء تسير بعض السحب المتفرقة الخفيفة، والتي تمنح النفس راحة وهدوءاً، ومع قطرات الماء المنتشرة في الهواء من حركة النوافير، تتكون ألوان الطيف كلما نشرت الشمس أشعتها، حيث تتعانق تلك الألوان الرائعة مع ألوان الزهور اليانعة

صقر جزيرة الأحلام

التي تنتشر في كل أنحاء الحديقة، فضلاً عن تلك الرياحين التي تتلاعب بها نسيمات الهواء، فتقرمها تارة، وتارة تباعدهما، وكانت فرصة رائعة لالتقاط الأنفاس، ولكن لا تخلو اجتماعات تلك العائلة من تناول الأحداث وتبادل الأخبار التي تلقي بظلالها عليهم وعلى حياتهم جميعاً.....

الشيخ راضي: سمعنا يا علي أنكم أبلتكم بلاءً حسناً في مواجهة الحصار في الخارج..

خالد: صحيح أننا لم نعرف تفاصيل دورك هناك يا علي، ولكن الأثر العام لما بذلتموه واضح للعيان..

علي: الحمد لله الذي هدانا لهذا، إذا كنا قد أبلينا بلاءً حسناً كما تقولون، فإنكم أنتم من تقفون على خط النار، ولا شك أنكم تعيشون منذ اللحظة الأولى حياة المجاهدين على كل الأصعدة.....

لكن الذي يشغلني، هو كيف كان تعامل المقيمين على أرضنا؟ وماذا وجدت منكم؟

خالد: لو قلت لك إن أكثر من تسعة وتسعين بالمائة من المقيمين على أرضنا يحملون مشاعرنا نفسها، ويجاهدون من أجل قضيتنا، فلن تصدق. فقد كانوا في غاية الوضوح من اليوم الأول للحصار، فكل الجاليات قد أثبتت بالعمل لا بالقول أنهم يريدون الازدهار لهذا البلد، وأنهم على استعداد للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل رفعة شأنه، ولقد رأيت بعيني شاباً عربياً في أحد المجمعات يمسك بالحليب من شركة تابعة لإحدى دول الحصار، فإذا بشاب أوروبي يذهب إليه، ويقول له: لا تشتتر هذا، بل خذ هذا أو هذا، يشير له إلى منتج بلادنا وآخر تركي، فاستجاب على الفور واعتذر عن جهله بالمنتج، حتى كادت الدموع أن تفر من عيني...!!

أما إخواننا من العرب من جميع الجاليات، فلا يتركون موقفاً ولا مجالاً يستطيعون التعبير فيه عن تضامنهم إلا فعلوا، ولو تركت لهم الحكومة المجال لرأيت تظاهرات تجوب كل الأنحاء كل يوم؛ ليثبتوا للعالم أن الجميع على قلب رجل واحد، ولو طلب منهم الفداء بأرواحهم لفعلوا.....

ضحى: صحيح ما تقولون، ولقد رأيت الناس يأخذون من بعض البضائع ما يكفي ليوم؛ حتى لا يؤثر على السوق..

فجر: لم أكد أتمالك نفسي من البكاء عندما رأيت شاباً يجلس على كرسيه المتحرك، ويمسك بالقلم ليكتب شيئاً على جداريات أمير الجزيرة التي انتشرت في كل مكان، وكأن هذا الشاب الذي عجز عن الحركة يريد أن يقول: لا بد ان أشارك بأي شيء لأكثر به سواد المناصرين للحق.

خالدة: تنفجر بالبكاء.

ناصر: الموقف الوحيد السلي الذي شاهدته، شاهدت بعض الشباب، يُخلون بعض الأرفف من البضاعة في أحد المجمعات، ثم يصورونها فارغة، ولم أكن أعرف السبب، حتى رأيت ذلك في اليوم التالي على مواقع التواصل، وهم يقولون للناس: إن المجمعات فارغة، وإن جزيرة الأحلام سوف تجوع، فكنت أتمنى لو أمسكت بهم...

خالدة: الحمد لله، أمسكت بهم السلطات من خلال الكاميرات المنتشرة في كل مكان، وبالفعل تم ترحيلهم إلى بلادهم..

خليفة: خسئوا... يعيشون على أرضنا، ويأكلون من خيراتها، ثم هم يحملون في قلوبهم هذا الحقد؟؟ سحقا لهم...
الشيخ راضي: لا يخلو المجتمع من ضعاف النفوس، ولكن العبرة بأن ننتبه لهم ونستأصلهم قبل أن تسري عدواهم إلى غيرهم، فأولئك ضررهم أعظم من العدو الواضح العداوة، أولئك المنافقون، يقول الله تعالى مخبراً عنهم ومحذراً المؤمنين منهم: (لَوْ حَرَجُوا فِئْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) (سورة التوبة)، فلا بأس بأن ترى من أبناء جلدتك من يبيع ضميره بعرض من الدنيا، ولكن الخطر أن تُترك الساحة لأمثال هؤلاء يعيشون في الأرض الفساد.

علي: الحمد لله، والله لقد أثلجتم صدورنا بهذه الأخبار السارة.

نايف: كنا نتمنى أن نكون في موقف غير هذا، ولا نتمنى أبداً أن يفعل الإخوة والجيران ببعضهم مثل ما يحدث، ووالله كنت أتمنى أن أكون في عداد الأموات ولا أرى هذا اليوم أبداً، ماذا نقول للأجيال القادمة حين يسألوننا عن تلك الحقبة من التاريخ؟

دانة: والله يا نايف لقد عبّرت بكلامك عما يدور في خَلدي....

فجر: لن يرحمكم التاريخ حقاً... أقصد بلادكم..

صقر جزيرة الأحلام

محسن: ليس كذلك، ولكن هذه المحنة قد كشفت كل إنسان على حقيقته، وأظهرت معادن الجميع، وحال شذى خير شاهد على ما أقول، وكما يقول الشاعر: (جزى الله الشدائد كل خير *** عرفت بها عدوي من صديقي)

أما أنت يا نايف وأنت يا دانة، فليس اليوم هو أول يوم نعرفكما فيه، بل أنتما منا ونحن منكما، ونعلم أنكما تعصران المأ أكثر من بعضنا، ولستما بحاجة لقول مثل هذا الكلام....

عبد الله: ليت كل العرب، بل كل الناس مثل دانة ونايف، إنما الذين رأيتهم في رحلة عودتي من (ساسا) لم يكونوا ناساً ولم يكونوا عرباً، بل كانوا وحوشاً وقطاع طرق...

دانة: الحمد لله الذي نجّاك، وأعادك إلينا سالمًا.

محسن: أستاذن الأولاد والبنات أن يقوموا بعض الوقت ليتركوا المجال لأتحدث إلى جدكم بحديث خاص من فضلكم.

ضحى: الله الله.... يبدو أن القلب قد دق، تهانينا مقدماً. ضحك.

انصرف الأولاد والبنات ونظر محسن إلى أخيه علي ليبدأ بالحديث، وبالفعل بدأ عليّ قائلاً: كان من الفوائد التي أفدناها في الفترة السابقة، أنني فكرت في الزواج بشكل إيجابي، والحمد لله وقع نظري على إنسانة خلوقة، وأظنها ستكون قادرةً على إسعادي.

خالد: أمريكية هي أم أوروبية؟

محسن متعجلاً: لا هذه ولا تلك، بل بنت جزيرتنا، ولها أخت أيضاً، قل لهم يا عليّ.

عليّ: حق ما يقول محسن، فقد تحدثت معه ليلة أمس في الموضوع برؤمته، وحقاً إن لها أختاً خلوقاً أيضاً، وهي من عائلة أصيلة، والعادات واحدة والتقاليد واحدة، ولن ندخل في حسابات أخرى، فقد تكون الأفكار أيضاً متقاربة لحد كبير.

الشيخ راضي: فهتمت أنكما تنويان الزواج من الأختين؛ أنت ومحسن.

محسن: نعم يا أبي الحبيب.

خالدة: وما أسماؤهما؟

علي: عنود لي، وجوري لمحسن، وهما والعائلة في الجزيرة هذه الأيام.

الشيخ راضي: على بركة الله يا أولادي، وفقكم الله وسدد خطاكم.

الشيخة حسنية: ما شاء الله تبارك الله يا أولادي، كم كنت أتمنى أن أعيش حتى أرى هذا اليوم، - علي ومحسن في يوم واحد: الحمد لله، - عموماً استمتعا بوقتكما في اليومين الباقيين هنا، فلست أدري...!! أكون لنا لقاء هنا مرة أخرى أم لا؟ وعندما نعود إن شاء الله، تكون فرحتنا بكما كبيرة.

خالد: أعطاك الله الصحة وطول العمر يا أمي، ما شاء الله عليك، لا زلت شباباً..... ضحك.

الشيخة حسنية: شباب؟ الشباب شباب الروح يا بني..

خالد: نعم، الشباب شباب الروح، وأنت روحك مفعمة بالشباب والحيوية، حفظك الله يا أمي...

وها هي الأيام السعيدة سرعان ما تمر، وها هي الرحلة تنقضي، وها هي الطائرة تحلق بهم جميعاً في سماء جزيرة الأحلام، لتمهيط في أرض الوطن الحبيب.

علي وهو جالس بجوار أخيه محسن: إنني أشعر بالفخر يا محسن لأنني من هذا البلد العظيم، فلو تسمع ما نسمعه في الخارج، من مدح وإطراء، وإشادة بدور قياداتنا حفظهم الله! تسمع في ذلك عجباً.

لقد أجبنا قائدنا العالم على احترامنا، بحسن سياسته وتقديره للأمور، وكذلك البطانة التي تساعده وتشير عليه بالرأي، بتفانيهم وإخلاصهم وانتمائهم لبلدهم، وصلوا بنا والحمد لله إلى بر الأمان، وتكاتف الشعب جميعاً، من مواطنين ومقيمين، كان له بالغ الأثر في ذلك، وحقيقة يا محسن، من يسكن هذه الجزيرة يعلم ذلك ويراه رأي العين، فأنا أتمنى أن أتكلم إلى العالم كله وأقول له: هنا جزيرة الأحلام...هنا الرجولة والبطولة والوفاء..

محسن: ما الذي أجلسني بجوارك؟ أنا أريد أن أقول للعالم هنا عنود وجوري... ضحك...

كان وصولهم في الصباح، فلم يُرد محسن أن يفقد يوماً آخر؛ فأوماً إلى علي أن يطلب من العائلة الذهاب إلى بيت العروس في المساء، لكن علياً كان أشد شوقاً منه لملاقاة أسرة عنود، فقد رتب مع أبيه الشيخ راضي ومع أخيه خالد كل شيء، وهامهم الليلة في بيت عائلة عنود وجوري...

صقر جزيرة الأحلام

رحبت العائلتان ببعضهما، فكانت أن جلست الشيخة حسنية وابنتها خالدة مع النساء، أما الشيخ راضي وأولاده فقد جلسوا مع والد العروسين، وكان لقاءً مفعماً بالحب والمودة من كلا الجانبين، ولم يحتج الأمر إلى كثير من الوقت ليتعارف الجميع؛ فقد كان الكبار في العائلتين يعرفون بعضهم جيداً، وكانت لهم صولات وجولات، وتم الاتفاق على تحديد موعد للخطوبة، على أن يكون خلال أيام معدودة؛ نظراً لحاجة بعضهم إلى السفر....

وبالفعل، وفي الوقت المحدد. أقيمت مراسم الاحتفال وكان جوّاً مليئاً بالحب والمودة، وتبادل الجميع كل معاني الفرح والتبريكات.....

وبعد انتهاء الحفل.... همّ الشيخ راضي وأولاده بالخروج؛ ليتمكن كل من أبنائه عليّ ومحسن من إتمام التعارف مع أسرهم الجديدة..

لكن عنوداً نادتهم وطلبت منهم الجلوس جميعاً كأسرة واحدة لتعرض عليهم فكرة...

تلك الفكرة كانت تطاردها دوماً، وتتمنى أن تجد لها مجالاً خصباً لتفعيلها...، جلس الجميع وبدأت عنود في الحديث: لا شك أننا سعداء جداً بلقائكم، ونتمنى أن يوفق الله بيننا جميعاً، ويجعلنا عند حسن ظنكم، فأنتم شرف لكل بيت، ولا أطيل عليكم، لكن فكرتي تطاردني منذ اليوم الأول للحصار، خاصة حين علمت ما حدث للأخ عبد الله وما حدث مع الشيخة دانة، وما حدث مع الأخ محسن، ونحن نمثل نموذجاً واحداً من آلاف النماذج التي تعرضت للضرر، والحقيقة أن هذا اليوم ليس هو اليوم المناسب للحديث عن اقتراحات أو مشاريع...

محسن: صحيح ما تقولين، ليس هذا بالوقت المناسب أبداً... ضحك.

عنود: كنت أعلم أنك سوف تقول ذلك؛ فقد حدثني أخوك عن كل شيء، وأنتك شخصية مرحة وجميلة، وتريد أن تخطف جورى وتذهب، ضحك. ولكن ليس لدينا من الوقت الكثير هنا، فنحن مضطرون للسفر لاستكمال دراستنا، ثم إن الاقتراح لك أنت، وأنت الذي ستتولى إدارته، وكذلك الأخ عبد الله....

خالد: تفضلي يا عنود، نحن نسمعك.

صقر جزيرة الأحلام

عنود: ما حدث لعبد الله أمر يندى له الجبين، ولكنه حدث، وقدر الله وما شاء فعل، ولا بد أن نستثمر هذا الحدث ليكون دافعاً لنا إلى العمل والإنتاج، لنثبت للعالم أننا نحن من نقهر الصعاب، وأنا منذ أتيت إلى هنا في الأيام الماضية ذهبت إلى كثير من الوزارات، وتحدثت معهم عن حالة أخي عبد الله والحالات المتشابهة، واستطعت بفضل الله أن أحصل على موافقات بتعويض عبد الله وأمثاله عن كل ما فقده، وأيضاً تمكنت من جمع موافقات على أن يقيم عبد الله مصنعته الخاص بمنتجات الألبان، وأن يعيد تشغيل بعض المزارع المهجورة، وسوف يكون ذلك خير دليل على ثباتنا وقوة عزيمتنا، ونكون عند حسن ظن قادتنا، فهم يريدوننا أن ننتج غذاءنا ودواءنا ولا نحتاج إلى أحد....

خالد: وأنا سوف أتولى إقناع عبد الله بتلك الفكرة بإذن الله.

محسن: وأنت تريدين مني أن أدير المزارع مع عبد الله؟

عنود: أما محسن... فإن له دوراً آخر في إنشاء مصنع ينتج العديد من مستحضرات التجميل، وفي الحقيقة.... ليست عندي خبرة كافية لهذا المشروع، إلا أنني جمعت ما أقدر عليه من معلومات لأضعها بين يديه؛ ليقوم بتقييمها وتفعيلها وتطويرها، هذا ما أردت أن أقترحه عليكم قبل أن تغادروا، فلعلنا لا نحظى بهذا الاجتماع قريباً، ونحن في أشد الحاجة إلى استثمار الوقت، فإنه لا يعود، وهو الذي يراهن عليه أعداؤنا، فلا ينبغي أن نهدر وقتنا أكثر من ذلك...

ينظر محسن إلى أخيه علي في ذهول ويقول: أسأل الله أن يلهمك الصبر يا علي. ضحك.

ثم يتجه إلى الجميع ويقول: وأنا قبلت التحدي، ومن الآن سوف أقوم على استغلال الدقائق والثواني لعمل شيء نافع لوطننا ولأمتنا.

الشيخة حسنية: وفقكم الله جميعاً يا أولادي، هل من الممكن أن تسمحوا لنا بالانصراف؟

أم العروس: بكل سرور طبعاً، ومنتظر تشريفكم لنا في أقرب فرصة.

الشيخة حسنية: إن شاء الله... في أمان الله.

صقر جزيرة الأحلام

قام الجميع من تلك المناسبة، وكلّ منهم يحمل في قلبه الكثير والكثير، ولديه من العزيمة والهمة ما هو كفيلاً ببناء دولةٍ بأكملها.

وما هي إلا أسابيع قليلة حتى أثمرت مشاريعهم، وصارت تؤتي أكلها بفضل الله تعالى، ثم بفضل مثابرتهم على العمل، وأيضاً بتوفير الجزيرة لهم كل ما يحتاجون لإتمام مشاريعهم، وصارت مزرعة عبد الله تنشر منتجاتها في الأسواق، وها هي الجزيرة قد زادت لبنة في البناء الذي وعدت ببناؤه، في سبيل الاكتفاء الذاتي من السلع الأساسية، حتى تم الاستغناء تماماً عن منتجات دول الحصار، بل تم سحبها من الأسواق ومصادرتها، وكذلك في مصنع محسن، والذي أحدث طفرة هائلة في سوق الدواء ومستحضرات التجميل، وتجميل به وبأمثاله من المشروعات الضخمة وجه (جزيرة الأحلام) المشرق، وخاب وخسر كل من كان يراهن على عامل الوقت لإسقاطها....

وظلت المشكلات الداخلية، من مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية بل وجنائية، تعبث باستقرار دول الحصار، وكاد بعضهم يتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه؛ حسرةً وخزياً.

وكان أن تراجعت مواقفهم، فبدلاً من كونهم لا يذكرون اسم (جزيرة الأحلام) على ألسنتهم، صاروا يغازلونها على كل منبر، ويخطبون ودها في كل مناسبة. حتى تمت دعوتها لحضور اجتماعهم الدوري، وكان ذلك بمثابة لطمة قوية؛ حيث عرضت جزيرة الأحلام عليهم في أثناء الاجتماع ما توصلت إليه من اكتفاء ذاتي في كثير من المنتجات التي كانت تحتاج إليهم فيها، ومن تنامي علاقاتها بدول كبرى في المنطقة وفي كل العالم، هذه العلاقات التي شملت مناحي اقتصادية وسياسية وعسكرية، وظهر أمام الجميع صلابة موقفها، وتحديها للظلم، وعدم اعتمادها على أحد ممن كانوا يتمنون سقوطها حقداً وحسداً.

شلالات القيم

جمع الجد أحفاده، وهو سعيد بهم، وبما أبدوه من تفاعل مع المحنة من أول يوم، لكنه كان حريصاً على أن يستوثق من أفكارهم، ويطور من مهاراتهم حتى آخر نفس؛ فهو يدرك أن الجيل القادم هو الجيل الذي سوف يحمل الراية، فلا بد أن يحملها وهو مدرك لما يحمل، فقد عانى أسلافه حتى يوصلوها إليه، فلا أقل من أن يقوم هو بتكاليها وأعبائها على بصيرة.

الجد: أظن أنكم تذكرون اليوم الأول الذي فوجئنا فيه بالحصار، وتذكرون كيف كان رد فعل كل منكم، أليس كذلك؟؟

قالوا: بلى، نذكر جيداً.

الجد: أريد أن أرى من كل واحد منكم كيف تطورت أفكاره بعد كل هذه الفترة، وكيف هي نظرتكم الآن لما حدث، وما الوسيلة التي استطعتم التعبير بها عما في قلوبكم؟ وهل نجحتم؟ أم أخفقتم؟

ضحى: اسمح لي يا جدي الحبيب أن أبدأ بنفسي، فقد كان الرسم وسيلتي للتعبير عما في قلبي، وكنت حريصةً على أن أوثق الأحداث من خلال هذا الفن الأصيل الذي يصل إلى الوجدان ويؤثر فيه أيما تأثير بغير كلام، ومن اليوم الأول رسمت أول لوحة لي، حيث رسمت السفينة التي تحمل خريطة جزيرتنا، ووضعت علامة استفهام مكان القائد، لا أدعي أنني كنت على يقين من تجاوز الأزمة، ولكنني أردت بعلامة الاستفهام أن أفسح في الفكر لكل من ينظر إلى تلك اللوحة؛ ليتفكر في اسم القائد مرة، وصفاته اللازمة في هذا الظرف مرة أخرى، ثم في تصرفه الحقيقي وسط تلك الأمواج العاتية مرة ثالثة، أما الآن فلم يعد الأمر يحتاج إلى استفهام، فقد صار واضحاً جلياً أمام كل ذي عينين، من هو القائد؟ وكيف كانت صفاته؟ وكيف استطاع أن يرسي سفينتنا على بر الأمان، لذلك فقد جعلت آخر لوحة من لوحاتي صورة للقائد العظيم حفظه الله، تظهر وكأنها جدارية كبيرة، والناس يظهرون أمامها من ظهورهم، وهم يسجلون عليها بأقلامهم معنى الفخر والإجلال والاعتزاز بقائدهم، ولم أنس أن أجعل من بين هؤلاء الناس شاباً يجلس على كرسيه المتحرك، ويشارك في التوقيع على الجدارية...

الشيخ راضي: أحسنت يا ضحى، ولكن ماذا فعلت بتلك اللوحات؟

صقر جزيرة الأحلام

ضحى: هي منشورة في معرض المدرسة، ومنشورة على مواقع التواصل، وقد تلقيت دعوة من بعض الإذاعات والقنوات للحديث حول هذه اللوحات.

الجد: وفقك الله وأحسن إليك.

خليفة: اسمح لي يا جدي الحبيب أن أتكلم، وليس عندي من الكلام كثير، فالبلاغة الإيجاز، وخير الكلام ما قل ودل، وإنني قد زاد يقيني بحكمة القائد وعمق بصيرته؛ وذلك عندما رأيت بشره بالعرز والخير تتحقق يوماً بعد يوم، ورأيت المحاصرين يأتون إليه يتسارعون مرة ويتخافتون أخرى؛ طلباً للعفو والمعدرة، وحقاً كما يقولون: رب ضارة نافعة.

الجد: أحسنت يا بني، وإنني أرجو الله أن يشرح صدرك وينير بصيرتك على الدوام.

هل لك أن تتحفنا يا ناصر بما عندك؟

ناصر: نعم يا جدي الحبيب، ولو لم تسألني لبادرت أنا بالحديث، فقد كنت حزيناً أشد الحزن على ما مر بي من أحداث، وكنت حينها أنظر إلى نفسي فقط، لم أكن أنظر إلى العالم من حولي، ولا إلى إخواني الذين تعرضوا لنصيب أوفر من المحنة تلك، وكدت أن أفقد كل شيء، لولا فضل الله علي، وأن سخر لي من أهلي وأحبابي من وقف بجواري، وشد من أزرني، وأعانني على تجاوز المحنة، والتي كان أهم شيء تعلمته منها، هو أنني جزء من هذه الجزيرة، وأنه لزاماً عليّ أن أقوم بدوري نحوها، وكان ما كان والحمد لله، فقد انتقلت من مجرد كوني أهوى كرة القدم إلى كوني الآن أحترفها، وكل الأندية الكبرى تتمنى أن تضميني إليها، ولا زلت أعلق في معصي علامة مكتوب عليها (جزيرتنا تستحق الأفضل).

ضحى: نحن لم نفعل ذلك من عند أنفسنا يا ناصر، بل هو من توفيق الله أولاً، ثم هو حقك علينا ثانياً.

الجد: الحمد لله يا أولادي، جعلكم الله خير عونٍ وسندٍ لبعضكم بعضاً، وخير عونٍ وسندٍ لأمتكم.

نظرت فجر فيمن حولها، ووجدت العيون ترمقها، لتنظر ما لديها هي الأخرى، فإذا بجدها يسبقها بالحديث قائلاً: هل اكتملت فصول الرواية بعدُ يا فجر؟

صقر جزيرة الأحلام

فجر: نعم يا جدي، لقد اكتملت فصولها، إلا الخاتمة، وأسأل الله أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وقد وعدتك يا جدي أن تكون أول من يستمع إلى تلك الرواية، فهل لك أن تمنحني بعضاً من وقتك؟

الجدي: نعم يا فجر، سوف أستمع إليك في الصباح إن شاء الله. فقد طال بنا المقام الليلة.

خليفة: لو تأذن لنا جميعاً يا جدي بالحضور لسماع الرواية، فإننا في شوق للتحليق في أجواء الخيال الذي تتمتع به فجر، ونحن على يقين من أن لديها شيئاً جديداً سوف تتحفنا به.

الجدي: لا بأس عندي أبدأً في ذلك.

فجر: ولا أنا، بل أكون سعيدة لحضوركم وتقييمكم أيضاً.

قام الجميع، وكلهم أمل في الغد، وكلهم شوق لسماع رواية فجر، وكلهم ثقة في بزوغ فجر جديد، ينعمون فيه جميعاً بالعز والخير والأمن والأمان.

وعند الفجر، وأثناء قيام الجميع لأداء الصلاة، لاحظوا حركة غريبة عند غرفة جدهم، فهناك عمهم خالد، وبصحبه طبيب العائلة، يسرون نحو الباب، وحديثهم همس لا يكاد يبين، حتى خرج الطبيب، وعاد خالد، فتهافتوا جميعاً إليه: ماذا حدث؟

خالد: الحمد لله على كل حال، جدتكم مريضة بعض الشيء، وأحضرنا لها الطبيب لنطمئن على صحتها.

ناصر: وماذا قال الطبيب؟

خالد: قال الطبيب: إنها بحاجة إلى علاج سريع، وقد يتطلب الأمر السفر للخارج، وسوف أقوم بالترتيبات اللازمة من الآن.

دخل الجميع إلى غرفة الشريحة حسنية؛ ليطمئنوا عليها، وإذا بابنتها خالدة جالسة عند رأسها، أشارت إليهم بالهدوء، ثم قالت: مسكينة يا أمي.

قال خليفة: ماذا يا أمي؟

صقر جزيرة الأحلام

خالدة: ليس على لسانها إلا كلمة واحدة: اللهم ارزقني حجة أخيرة قبل أن ألقاك..... ويبدو أن تأثرها بمنع الحج في العامين السابقين-بسبب تحكم جزيرة ساسا في الطريق المؤدي إليه- قد أصابها بجلطة في المخ؛ حزناً على عدم استطاعتها الوصول إلى بيت الله الحرام؛ فقد كانت تجد فيه راحتها، في الحج أو في العمرة، وإن شدة تعلقها بهذا المكان يملأ عليها وجدانها على الدوام.

ناصر: لا أجد شيئاً أقوله إلا قول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(سورة البقرة: 114).

الشيخ راضي: لله درك يا ناصر، صدق الله العظيم، وإني والله لأرجوه أن يشفيها ويعافمها وتبلغ أمنيته، فكم هو عزيز على النفس أن تعجز عن شيء تقدمه لمن تحب، ولكن الحمد لله على كل حال.

سافرت الشبيخة حسنية للعلاج بالخارج، بصحبة ابنها خالد وابنتها خالدة، وظل الجميع يفرع بالدعاء مع كل أذان، طالبين من المولى سبحانه أن يعيدها سالمة إليهم.

لم يستطع الشيخ راضي أن يهناً بالحياة بدون زوجته، وليتها أي إنسانة، إنها حسنية، وما أدراك من حسنية؟ إنها ساكنة الفؤاد، هي الحب الأول، والعشق الأوحى، وصديقة الروح، وساكنة الفؤاد، صحيح أن الشيخ راضي لا يفصح لأحد عن ذلك، لكن أنى للحب أن يستر المحبين؟ وكيف للعشق أن يكتتم سر العاشقين؟ فكان أن تغيرت بعض عاداته، فأحياناً يميل إلى الوحدة التي لم يعهدها أحدٌ عليه، وتارة يُخرج من جيبه ورقة ينظر فيها ويظل يبكي حتى ينقطع البكاء.

فكر أحفاده في حيلة لكي يخرجوه من هذا الجو، فكم قد أخرجهم من هموم كادت أن تقتلهم، وكم واساهم ولم يتأخر عن أحدٍ منهم، وكم نذر نفسه للذود عنهم حتى يعيشوا آمنين مطمئنين.

خليفة: ليت كل الرجال مثل جدي؛ فقد تأثر أيما تأثر بسفر زوجته للعلاج، وما هذا إلا لعمق الوفاء في قلبه، وليس هذا عند الكثير.

فجر: أحسنت يا خليفة، ولكني أظن أن السر في الورقة التي يمسك بها جدي وببكي، هل هي من جدتي مثلاً؟ وما المكتوب فيها، وما الذي يجعله يبكي هكذا؟

ناصر: ماذا تفعلون لي إن توصلت إلى المكتوب في الورقة؟

ضحى: نشجع النادي الذي تنتسب إليه لمدة موسم كامل.

ناصر: اتفقنا.

وللدلال الذي بين ناصر وجده وعلاقة الود الخاصة بينهما؛ وجد ناصر نفسه قادراً على أن يدخل على جده ليسأله عن سر تلك الورقة التي تبكيه كلما نظر فيها، وكانت المفاجأة!!

لم يتكلم ناصر بكلمة واحدة، حتى نظر جده في عينيه، وأخرج الورقة من جيبه، وناولها لناصر..... لم يكن لدى ناصر هم إلا معرفة ما بالورقة، فلم ينشغل بتصرف جده، ولم يسأله عن سر معرفته بالسبب الذي دخل لأجله الآن، فأخذ الورقة وفتحها ليقراً ما فيها، نظر إليها بنهم، وقرأ ما فيها بشغف، ولم يستطع أن يتمالك نفسه من البكاء، ثم خرج إليهم ودفع إليهم الورقة فنظروا فيها، ونظر بعضهم إلى بعض، ثم انهمرت دموعهم جميعاً.

أخذ خليفة الورقة، وجعل يقرأها بهدوء، فإذا مكتوب فيها: (أبلغوا بيت الله الحرام مني السلام، وأبلغوا رسول الله مني السلام، وقولوا لهما: عذراً فإنني امرأة من جزيرة الأحلام حيل بيني وبينكما).

ثم قال: والله لن يفلحوا.... والله لن يفلحوا.

أخذوا الورقة جميعاً ودخلوا على جدهم يواسونه، وكل منهم يذكر جده بشيء مما كان يواسيهم به، حتى تكلم معهم، وخرج معهم إلى حديقة البيت، وطلب تناول بعض الفاكهة، واعتذر لفجر عن عدم الاستماع لروايتها حتى الآن.

فجر: لا بأس يا جدي، فلن نهنا ويستريح بالننا إلا بعدما نطمئن على جدتنا.. ثم قام الجميع وتواصوا بالدعاء الكثير للشريحة حسنية.

سافر محسن ليلحق بخالد وخالدة ليكون مرافقاً لأمه معهما، وكان قد تقرر إجراء عملية للشريحة حسنية، وتم تجهيزها للدخول إلى غرفة العمليات، وبينما هم كذلك إذ أوقفهم أحد المارة، وتقدم إلى محسن، ووقف أمامه يحدق النظر إليه، ثم سأله: أنت محسن؟

توقف محسن لحظات، وخلال تلك اللحظات استعاد ذاكرته، فبادله بسؤال: أنت زايد؟

قال: نعم أنا زايد، وأختي شذى، ما الذي أتى بكم إلى هنا؟ لعله خير.

محسن: خير إن شاء الله، جئنا لإجراء بعض الفحوصات لأمي،

زايد: شفاها الله وعافاها.

محسن: وأنت... ما الذي جاء بك إن أذنت لي بالسؤال؟

زايد: بعد ان أخذ بيد محسن، ومشى به بعيداً، ثم حدثه قائلاً: لم أكن أتوقع أن نتحدث معاً بعد تلك الفترة الطويلة، والأحداث المتسارعة، ولكن بعدما حدث ما حدث من أمر الحصار، تقدم لخطبة شذى رجل من (ساسا) من الدبلوماسيين، ووافقت، وكان الأمر على ما يرام، وبعد فترة من ارتباطهما، وقد تعلقت به لأبعد حد، وتفتخر به بين صديقاتها، وتباهى به في أهلها، إذا بها تكتشف من الأخبار أنه متهم بجريمة قتل بشعة، وأنه ممنوع من السفر لعدة دول، وأن الشرطة الجنائية الدولية تطلبه، ففقدت الشهية للطعام والشراب، ولم تعد تنام كما كانت، وصارت تهذي، ولن تعرفها الآن إذا رأيتهما من شحوب وجهها، وتغير حالها، حتى أتينا لها بالأطباء من كل مكان، فقرروا إجراء جراحة لها في المخ، فنحن هنا لأجلها، ولا أخفيك سرّاً يا محسن، لقد كانت قبل أن تفقد النطق، تتمم ببعض الكلمات وتقول: هذا ذنب الطيب محسن، هذا ذنب الطيب محسن.

تأثر محسن أيما تأثر، لا لأن لها في قلبه مكاناً، فقد وهب جُل قلبه وكل مشاعره للإنسانة الجديدة في حياته، ولكنه تأثر لأنها إنسانة تحتاج في هذا الموقف إلى من يواسيها....

وعلى الفور أخرج هاتفه وتحدث إلى جوري: أنا الآن مع أمي في المستشفى وقد دخلت لتوها لتجري عملية في المخ.

جوري: شفاها الله وعافاها، هل لي أن أساعدك بشيء؟

محسن: فقط الدعاء، ثم إنني أكلّمك الآن لتعطيني رأيك...!!

جوري: رأيي في ماذا يا محسن؟

محسن: أتيح لي الآن عمل إنساني قد ينقذ إنساناً من الموت، فما رأيك؟

جوري: عجيبٌ أمرٌ...!!

تسألني في الإنسانية؟ توكل على الله ولا تتردد.

محسن: هذا الإنسان هو (شذى)....

جوري: بعدما سكتت برهة: قلت لك لا تتردد، حتى لو كان أعدى أعدائي.

كان محسن يفكر أنه لو قرر الدخول إلى شذى في غرفتها وواساها، وصارحها بأنه قد عفا عنها وسامحها، ربما يكون لذلك أثر كبير في شفائها، فاستأذن أخاها في ذلك، وقد شعر أخوها بما يفكر فيه محسن، بل قد تمناه، فليس أمامه إلا أن يوافق على ذلك، فإن حال أخته لم يعد يحتمل، وربما تكون تلك الزيارة التي لم يُعد لها مسبقاً، تكون قدراً من أقدار الله، تعطي قبلة الحياة لأخته وهي طريحة الفراش بين الحياة والموت.

استجمع محسن كل إنسانيته، ودخل على شذى بصحبة أخيها زايد، لكنها لم تتحمل الصدمة، فمثلها وهي في تلك الحال لا تتحمل نسمة هواء تمر بها، فكيف بمن كانت سبباً في جرح قلبه؟ وكيف بمن كان إغضابه سبباً فيما هي فيه الآن؟ فدخلت في حالة إغماء شديدة، لم يتوقعها أخوها، ولم يتوقعها محسن كذلك، فقد فكر كلاهما في الجانب الحسن لتلك المقابلة المفاجئة، ولم يحسبا حساباً للصدمة عند شذى.

حاول الأطباء إفاقمتها، حتى استفاقت، كانت تحاول أن تنظر إلى محسن بعينها، ولكن جفونها قد ثناقت، فلم تعد تقوى على فتحها، ولكنها تكلمت قائلة: ذنبك يا محسن... هذا الذي يحدث لي؛ إنما هو بسبب أنني جرحت مشاعرك، فابتلاني الله بما أنا فيه. وكنت أتمنى مقابلتك لأقول لك فقط: سامحني، لكن كبريائي منعني من مهاتفتك وطلب السماح منك، فقد كنت أشعر أن عفوك عني سوف ينجيني من الوسوس التي كانت تلاحقني، والتي كادت أن تودي بحياتي في النهاية، بالله عليك سامحني.

محسن: لا عليك يا شذى، قدر الله وما شاء فعل، وأنا قد سامحتك، ولا حرج عليك أبداً، ولتقبلوا بي أخاً لكم إن شئتم.

شذى: لا زلت تثبت لي رجولتك!! أين تعلمتم تلك الشهامة والرجولة، أين رضعتم كل هذا الوفاء وكل تلك الإنسانية...؟

محسن: ضاحكاً....: رضعتها من أمي حسنية.

شذى: اشكر تلك المرأة العظيمة نيابة عني..

محسن: إن شاء الله، عندما تخرج من غرفة العمليات.

شذى: حقاً ما تقول؟

محسن: هل لي أن أطلب منك شيئاً؟

شذى: طبعاً.

محسن: أدعو لك بالطعام كي تأكلي.

شذى: لو غيرك طلب مني ذلك لأبيت...لكن لا أستطيع رفضه منك الآن؛ لما لك من جميلٍ عليّ، وعفوك عني أراح قلبي من الهم، وشفى جسدي من المرض.

زايد: حالاً سوف أحضر الطعام....

كان الجميع في ذهول...!!

بدأت حالها تتحسن شيئاً فشيئاً، وبدأت تأكل وتشرب، وتتكلم.

قرر الأطباء تأجيل العملية حتى يتم إجراء فحوصات جديدة..

ثم قرروا بعد الفحوصات أن تخضع للعلاج فقط لفترة، ولا داعي لإجراء العملية....

دخلت شذى على الشيخة حسنية لأول مرة...، لترى تلك التي ترضع أولادها الشهامة والرجولة...

مالته على رأسها تقبلها...

دخل الطبيب ليطمئن على حال الشيخة حسنية، وتكلم مع محسن قائلاً: كنا قد فقدنا الأمل أثناء إجراء العملية لأمك، فقد توقف القلب تماماً، وإشارات المخ أيضاً توقفت، ووقف كل منا ينظر إلى الآخر مرة، وينظر إلى أمك مرة، وهممت أن أخلع ملابس العمليات، وأجلس على كرسي، ولكن....

صقر جزيرة الأحلام

فجأة.. وبدون أي مقدمات، كأن روحاً هبطت من السماء، لتعيد الحياة إلى أمك مرة ثانية، كنا نتصبب عرقاً من روعة المشهد الذي رأيناه، لم يحدث مثله معي في عشر سنوات، هي تاريخ إجرائي لأول عملية في المخ، ولا زلت أسأل نفسي عن سبب ما حدث، إلا أنني لا أجد له تفسيراً علمياً...

لم يكن محسن يوماً من الأيام واعظاً، ولم يكن أبداً يحب الوعظ، ولم يكن يفكر يوماً أن يفتح الله قلب هذا الطبيب إلى الإسلام على يديه هو، حين قال: أنا لست طبيباً ولا علاقة لي بالطب، لكنني أعرف السبب!...

هنا وقف الطبيب في ذهول!! ماذا؟

محسن: رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ)، وأنا كنت أصنع معروفاً في الغرفة المجاورة، فكنت أدمع تلك الفتاة نفسياً، وكان ذلك كل ما أقدر عليه، فالكلمة الطيبة التي قلتها لتلك الفتاة خالصة لوجه الله، كانت بمثابة روح جديدة أهداها الله إلى أمي....

دمعت عيون الطبيب، وعيون من حوله، وكانت لحظة اهتدائه إلى فطرته، وطلب الدخول في الإسلام.....

وفي اللحظة نفسها التي ودعت فيها الشيخة حسنية المستشفى عائدة إلى أهلها، كانت شذى هي الأخرى تودع رحلتها العلاجية في الخارج لتستأنفها في بلدها حال عودتها، لكنها لم تشأ أن تمر تلك اللحظات بدون وداع أخير، لذلك الشاب الطيب الذي خسرت القرب منه، والذي لم تعد تتوقع أن تراه مرة أخرى، فطلبت مقابلة أخيرة، تنظر فيها لوجه طبيبها الخاص، الذي أنقذها بحلو كلامه، وعمق مشاعره، وعفوه وسماحته، من براثن جراحة لم تكن إلا نهاية لحياتها بطريقة شرعية، وقفت بشجاعة وثبات، تشكره وتقول: لن أنسى لك هذا الجميل يا محسن، ولن أنسى كلامك لي في الاتصال الأخير بيننا، كلماتك تطاردني ليل نهار، لاسيما وقد حدث لي ما حدث، لقد تحققت كل كلمة قلتها لي في ذلك اليوم، ونحن الآن نجني الشوك الذي زرعناه، ولست أقول ذلك لأنني أتوسل إليك بأن تعيدني إلى تفكيرك، بل على العكس تماماً، فأنت إنسانٌ من طراز آخر، وتحتاج إلى إنسانة من نفس الطراز، ولست أنا بالطبع، إلا أنني أؤكد لك أنني مدينة لك بحياتي كلها، وسأظل أدعو الله لك ما حييت.

محسن: لا عليك يا شذى، أدرك جيداً ما تقولين، وكلنا ذُوو خطأ، ولكنك إنسانة رائعة، لعل الله أن يعوضك خيراً، والحمد لله على كل حال، نسأل الله أن يتوب على الجميع.....

شذى: بعد كل هذا الذي رأيته منك، أراني بحاجة إلى أن أفشي لك سرّاً..

محسن: أي سر؟

شذى: انظروا حولكم جيداً، ستجدون أن هناك عاملاً مشتركاً بين كل من يعيثون في أمن واستقرار جميع الجيران، فإياكم أن تكونوا ساذجين في التعامل معهم، وإلا...، فإنهم ربما يعيشون بينكم منذ زمن، يأكلون معكم، ويشربون، ويتسامرون، لكن قلوبهم أسود من لون الغراب، وينتظرون اللحظة المناسبة التي يُظهرون فيها ما بداخلهم، ولو نجح الحصار لرأيت ما أقول رأي العين...، وأنهم أقرب الناس إلى إيدائكم والتشفي فيكم، ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك.

محسن: لعلك تعطين الأمور قدراً فوق قدرها، ما عليك يا شذى، فالأمور على ما يرام....

شذى: أتمنى ذلك. في أمان الله. في أمان الله.

وها هي الشيخة حسنية تعود ومعها أبنائها، على متن الطائرة، وتحمد الله أن رد إليها عافيتها، وأن هدى أحد كبار الأطباء على يد ولدها، وأن أحيا على يديه أيضاً نفساً كانت قد أوشكت على الهلاك، فإذا هي تتمتم قائلة: سبحان الله!! ما يدريكم يا أولادي؟ لعل الله قد دعانا إلى رحلة العلاج تلك ليجري حكمته وإرادته علينا وعلى من حولنا ويجعلنا سبباً في إنقاذهم من النار ومن الهلاك، الحمد لله على كل حال، الأرض أرضه والسماء سماؤه، والتدبير تدييره....

وما أن وصلت إلى بيتها برفقة أبنائها حتى قابلها باقي أفراد العائلة مهللين ومكبرين، فرحين مسرورين بعودة ربحانة البيت الشيخة حسنية... ثم التقى الأهل جميعاً على مأدبة غداء بمناسبة تلك المناسبة السعيدة، وكانت لحظات سعادة تغمرهم، كأنما عادت إليهم روحهم من جديد.

وبينما هم كذلك... إذ بطارقٍ يطرق الباب.

فتحوا له الباب، فإذا هم مجموعة من الشباب، يسألون عن بيت عبد الله، ومعهم شرطي، فخرج لهم عبد الله: هلا، مرحباً، تفضلوا..

الشرطي: أنت عبد الله؟

عبد الله: نعم، ما الأمر؟

الشرطي: هل هذه اللوحة المعدنية خاصة بسيارتك؟

عبد الله متعجباً!! نعم هي لي، ولكني فقدتها أثناء عودتي من (ساسا)، وليس لي إلها حاجة اليوم؛ فهي تذكرني بأسوأ يوم مر علي في حياتي.

الشرطي: إخوانك من (ساسا)، من خلال هذه اللوحة المهلهلة توصلوا إليك، ومن ثم قدموا إليك، وتكبدوا عناء السفر، ليعتذروا عن فعلتهم، ومنذ يومين ونحن نستضيفهم عندنا، حتى تأكدنا من صدق نواياهم، فهل لك أن تستقبلهم في بيتك؟

عبد الله: ومن متى ونحن نرد ضيفاً؟؟ على الرحب والسعة.

دخل الشباب منكسرين، يلفهم الحياء، ويحدوهم الأمل في أن ينالوا العفو من هذا الذي ظلموه وتجرؤوا عليه...
عبد الله: لكني لم أرَ أحداً منكم من قبل...!!

أحدهم: نعم، نحن أيضاً لم نرُك ولا نعرفُك، ولكننا سمعنا بما حدث لك، ونحن بنو عمومة للذين فعلوا معك هذا الفعل، ولم يرعوا ظروف وحدتك وسفرك، لكن الشيطان سول لهم، فقررنا بعد الحديث معهم، والتأكد من صدق توبتهم، أن نكون وسيط خير بينكم، فإن إصلاح ذات البين من شعائر ديننا الحنيف، ويكفي ما حدث إساءةً لديننا...

ولم يكن معنا من شيء نستطيع التوصل إليك من خلاله، إلا لوحة سيارتك التي حطموها وانتزعوها، ولحسن الحظ، فإن الأولاد احتفظوا بها للتندر، والتسلي بذلك اليوم، وإننا لندرك أن كل الآثار التي تظهر على تلك اللوحة المعدنية هي نفسها الآثار التي خلفتها تلك المحنة في قلبك وقلوب الأشقاء، فحملناها وأتينا إلى إدارة المرور عندكم، نسأل عن صاحبها، وكنا نعلم أن الأمر لن يكون سهلاً، ولكن علينا أن ندفع ضريبة فعلنا، وجزاهم الله كل خير، فقد استضافونا كما لو كنا من كبار السياسيين، ولم نشعر بغربة بينهم، حتى اطمأنوا إلى سمو مقصدنا، ورافقونا إلى بيتكم.

أما الذين فعلوا معك تلك الفعلة، فقد خافوا أن يأتوا إليك، فهم لا يدرون ماذا تفعل بهم ولا كيف تستقبلهم، لكنهم ينتظرون ردنا عليهم، فإن أذنت لهم أن يأتوا، ففي الصباح هم بين يديك، ولتَرَ فيهم ما شئت، ولا نظن منك إلا الكرم والإحسان.

صقر جزيرة الأحلام

عبد الله: أما قدومكم إلينا، فهو على العين والرأس، ويكفي لأعفوَ عن إخوانكم، وأما طلبهم للزيارة، فعلى الرحب والسعة، فالوطن وطن الجميع، ومن ذا الذي يفرق جمعنا إلا خائن أو ظالم...

أحدهم: أنت تعلم ما حل ب(ساسا) خلال الشهور القليلة الماضية، من تغير الحال، في الداخل والخارج، وليس لنا نحن الشعوب إلا أن نعمل على رأب الصدع الذي حدث، وقد ساقنا إليه بعضهم سوقاً، فلا أقل من الاعتراف بالذنب، وطلب العفو، وإيهم سوف يكونون هنا لذلك الأمر في الصباح بإذن الله...

أخذ الضيوف حقهم كما لو كانوا هم أصحاب البيت، كرمًا وحفاوةً، حتى جاء الصباح، ومعه أشرقت الشمس صافية بمجيء ذويهم، وكان استقبالهم كاستقبال أهل بيت كانوا في سفر ثم عادوا، ولم يلجئهم عبد الله إلى الاعتذار، ولكنه أقسم عليهم ألا يتكلم أحدٌ منهم معترفاً ولا متنصلاً، ويكفي قدومكم علينا.

طلب أحدهم من عبد الله أن يخرج خارج البيت للحظات، في البداية تردد عبد الله، لكنهم سارعوا بذكر السبب الذي جعلهم يطلبون منه الخروج، فقالوا: أمام البيت واحدة بواحدة.

عبد الله: ماذا؟

أحدهم: سيارة بسيارة.

تبسّم عبد الله ابتسامة حياء ثم قال: قدومكم علينا أفضل من الدنيا بما فيها.

قال أحدهم: لم نجد إلا أن نهدي إليك سيارة، هي أحدث إصدار حتى الآن، وقد تم تنفيذ عملية الشراء منذ أكثر من أسبوع، وظلت السيارة في الجمارك عندكم حتى أذنت لنا بالدخول، ولو لم تأذن لأرسلناها إليك أيضاً، والحمد لله الذي هدانا لهذا...

استأذن الضيوف بعد يوم حافل بالمسرات، وزاد من سرور العائلة قدوم علي من الولايات المتحدة، ليطمئن على أمه وعلى الجميع، ولتعود لقاءاتهم العائلية أكثر رونقاً بوجود كل الأهل والأحباب.

وفي الصباح كان الشيخ راضي قد أمضى ليلة نام فيها ملء عينيه، فلم يذق طعم النوم منذ تركته زوجته، وإن تظاهر بغير ذلك، إلا أن ما في القلوب يظهر على الملامح، وخبايا النفوس تظهر في نظرات العيون، وكانت جلسة هادئة، استمع بعضهم إلى بعض في كل ما يخص حياتهم، وما يجري حولهم من أحداث....

صقر جزيرة الأحلام

ثم كان علي هو آخر المتحدثين حول الأحداث قائلاً: ثبت بالأدلة القاطعة أننا مستهدفون، وأنا كنا قادرين بعون الله وتوفيقه على تجاوز الأزمة، ولكن...!!

واهم من يظن أن القوم قد توقفوا عن استهدافهم لأمتنا، كلا...

هم يمكرون صباح مساء ليقوموا بنا في أي فتنة من الفتن وفي أي شبكة من الشبكات، فلا بد أن نكون حذرين كل الحذر، ولست أقصد بذلك إخواننا وجيراننا؛ فإنهم كانوا أداة لآخرين يعملون خلف الستار، يحركوننا ليلتهم بعضنا بعضاً ثم يخرجون علينا في ثياب الناصح الأمين، وما هو بناصح ولا بأمين، إنما يفرض نفسه على المشهد، لكي يبرئ ساحته، ولينظر إلى مدخل آخر لكي يدخل علينا منه، فالحذر الحذر من تلك الأبواب المفتوحة التي يتسللون منها، فالجهاد طويل وشاق، وما دمتنا فهمنا الدرس فقد قطعنا أكثر من نصف الطريق، فالمبادئ في يميننا لا بد أن تحميها قوة بشمالنا ترهب أعداءنا.

ألم تسمعوا بعضهم وهم يقولون إنهم تجسسوا علينا ونحن في بيوتنا؟ واستعانوا على ذلك بأعداء تاريخيين لأمتنا؟ وهذا بالطبع لا يمنع من وجود أنصار لهم بالداخل، ولكنهم لا يظهرون لأن الظروف ليست مواتية لظهورهم، ولو أتاحت لهم فرصة واحدة لرأيتهم لهم صولات وجولات في إنهاك النظام.

محسن: نفس الكلام سمعته من شذى، وكانت تقوله وهي خائفة، وحريصة على ألا يسمعها أحد.

علي: نعم، صدقت، لا بد من تحصين أنفسنا جيداً وأن ننفي الخبث عن أنفسنا.

خالد: سبحان الله!! لا يزال الحق والباطل في سجال حتى يقضى الله أمره.

الشيخ راضي: وأمر الله أن الحق منتصر، وها قد رأيتهم، هذه بضاعتنا ردت إلينا، وازددنا فوقها عزاً وفخاراً، وإنني على موعد غداً مع فجر، فقد أجلنا الاستماع إلى روايتها حتى نطمئن على قررة العين الشبيخة حسنية،

خليفة: نعم يا حبيبي نعم!! ضحك.

الشيخ راضي: ففي الصباح موعدنا، ونسعد بكل من يأتينا، فالدعوة عامة للجميع.

أفئدة الطير

أشرقت شمس الضحى، وتناول الجميع طعام فطورهم، واجتمعت العائلة المباركة في ردهة البيت، بين جالس ومتكى، فالشيخ راضي بجوار زوجته الشيخة حسنية، ودانة وخالدة بجانب ضحى على يمين فجر، ونايف وخالد وناصر وخليفة ومحسن وعلي في الجانب الآخر، أمامهم بعض المُسَلِّيات، والمشروبات، جلسوا جميعاً يستمعون بقلوبهم إلى رواية فجر.

فجر: تلك روايتي، التي عشتها، وعاشتها، بوجداني ومشاعري، بفؤاد كأفئدة الطير، بقلب طاهرٍ نقي، لا يعرف الحقد ولا الغل ولا الكراهية، أحببت أن أرويها لكم من هناك أيضاً، من هناك حيث القلوب الصافية النقية، بألسنة الطيور في عالمها الطاهر، لتنظر إلى الأمور بلون قلبها الأبيض، ولتصدح بالحق المنير في وجه كل باطل أسود، ولتكبح جماح المكر بفطرتها التي فطرها الله عليها، من غير ظلم ولا اعتداء...
أما بعد: فإليكم قصتي...

قام الديك ليؤذن أذانه الأول في ليلة مضيئة من ليالي شهر البركات على أطراف مدينة الطيور، كما تعود من سالفه الذي أخبره بمواقيت الأذان في تلك المدينة التي تستجيب لنداء الديك حين يؤذن ليوم جديد ملؤه النشاط والحيوية، فما أن يصدح الديك بصوته القوي حتى تهتز أركان المدينة؛ فإن لأهلها سَبْحاً طويلاً في نهارهم، فهم قد تعودوا على الجد والنشاط والعمل الدؤوب، كل يعرف مهمته فهو يؤديها على أكمل وجه، ولولا ذلك... ما كان هذا المنظر الرائع والبديع الذي تبدو عليه مدينة الطيور اليوم، حتى صارت بجمالها ورونقها مزاراً للطيور المهاجرة، تحط فيها رحالها، وتتزود منها لسفرها، وتعيش فيها أياماً لا تنسى...؛ لتعود إلى بلادها تنقل تلك التجربة التي شاهدها في تلك المدينة؛ لتستفيد منها؛ وتحذو حذوها، حتى إن نظامها وجمالها وأناقته كان سبباً لأن تكون مكاناً لسباق الطيور الذي يقام كل فترة، نظراً لجوها الرائع، ونظامها البديع، وهمة أصحابها العالية، ونفوسهم التواقية إلى كل ما هو نافع ومفيد....

لم يكن هذا الاختيار عشوائياً؛ ولكن بفضل سياسة حكيمة عمل عليها قادتها منذ زمن بعيد، فرسموا خطتهم المحكمة القوية في كل مجالات الحياة؛ حتى يحيوا حياة طيبة كريمة... فدأبت على تقوية روابطها بكثير من جيرانها، وامتدت صداقتها أيضاً لتصل إلى ممالك بعيدة؛ بحثاً عن التناغم مع جميع الكون، وحتى تفيد

صقر جزيرة الأحلام

وتستفيد، فليس العالم قد خلق ليعيش كل على حدة، ولكن للتواصل المثمر والتعارف الفاعل. وساعدها ذلك على تكوين شبكة من الأخبار الموثوقة والمحدثة على مدار الساعة، بفضل شبكة من حمامها الزاجل يراسلونها دوماً من مواقع الأحداث، حتى صارت جميع الممالك تتطلع كل يوم إلى تلك المدينة وتترقب ما يصدر عنها من أخبار، تؤمن بها، وتثق فيها....

ليس هذا فحسب، بل كانت تلك المدينة تنعم بكم هائل من العطف والحنان على كل عيٍّ أو كسير، وكل ضعيف أو مريض، أو محتاج أو ضير، حيث تمد له يد العون وتبرئ له المساعدة وسبل الراحة حتى يتعافى ويستقيم أمره، ساعدها على ذلك حسن تصريفها لمواردها التي حباها الله بها....

لم تكن تلك المدينة محطاً لأنظار الطيور السائحة فحسب...! بل كانت أيضاً محطاً لعيون الحساد من بعض جيرانهم؛ والذين لا يريدون أن يتقدم عليهم أحد، وألا تشير الأيدي لأحد غيرهم، وأن يكونوا هم وجهة كل الطيور في أنحاء العالم دون غيرهم.

سمع الديك أصواتاً تهمس على أطراف المدينة، وكعادة الصيادين يأتون ليحصلوا على صيدهم.... لكن ليس في هذا الوقت المتأخر من الليل! إذن ماذا يمكن أن يكون هذا الصوت؟؟

حدق النظر بعيداً، حتى رأى غرباناً تتحرك على أطراف المدينة، وبصحبتهم بومة تكشف لهم الطريق.... اقترب أكثر وأكثر من ناحية الغربان، فسمعها تتحدث والحقد يملأ نبرتها: سوف نأتي بجيوشنا لنسحق هذه المدينة، أو يدينوا لنا بالولاء، ويعطونا ما نريد من غذاء ورفاهية، ويستجيبوا لمطالبنا؛ فنحن أكثر منهم قوة وأعرق منهم في أصولنا، فلا يليق بنا أن نتركهم يتقدمون علينا ويأخذون أنظار الممالك نحوهم....

كان الهدهد قريباً من الديك وهو يؤذن..

خرج لينظر...!!

لماذا لم يكمل الديك أذانه المعتاد؟؟ لماذا قطع أذانه في أوله ولم يكمله؟؟ لعله أصابه مكروه أو تعرض لأذى...!!؟

فهكذا روح الأصدقاء والحب والوئام الذي تقوم عليه مدينتنا، تدفعني لأن أتفقدته وأسأل عنه...هكذا قال الهدهد محدثاً نفسه.

طار الهدهد إلى الديك يسأله عما حدث له واضطره لقطع الأذان؟

أسرَّ الديك للهدهد بما سمع من الغربان والبومة في جنح الليل.... لم يكد الهدهد أن يلامس أرضاً برجليه المتعبتين من البحث عن الطعام طوال اليوم، حتى طار كالبرق؛ ليوصل الرسالة التي سمعها من الديك... إلى الصقر كبير عائلة مدينة الطيور، والذي تدين له الطيور بالولاء حباً وطواعية لا كرهاً وإجباراً.... كيف لا!! وهو الذي يسهر على راحتهم، يتعهد جائعهم حتى يشبع، ويهتم لمريضهم حتى يبرأ، ويقلق لمسافرهم حتى يعود؛ فقد علمه أسلافه فن الرعاية منذ الصغر؛ فكان أهلاً لها عندما شب وكبر، فالكثير من أبناء الطيور يسمونه بالوالد؛ لما له من عطف وحنان يشمل الجميع ممن يسكنون مدينته...

اقترب الهدهد من بيت الصقر... وهَمَّ بالدخول... فوجد نسرأ يخرج من بيت الصقر مهتماً، سلم النسر عليه سريعاً وطار، وكأنه مرسل في مهمة عاجلة... دخل الهدهد مهموماً مشغولاً، ونسي أن يلقي التحية على أمير المدينة من شدة اهتمامه وعجلته: جئتك من أطراف المدينة بنبأ خطير، سأله الصقر في ثبات: ماذا وراءك أنت أيضاً يا عزيزي الهدهد...؟؟

الهدهد: لقد تجمع الغربان حول مدينتنا يريدون اقتحامها وإذلال أهلها، وبصحبتهم بومة نكراء، وما أدري ما جمعهم بها، ربما لأنها تحب أن تعمل في الظلام وهم قد أتوا ليلاً، وربما جمعتهم مصالح لا أعرفها، هذا ما أخبرني به الديك حين سمع حديثهم المشين...

قام الصقر يهز رأسه في أركان بيته، ويتحرك حول الهدهد حتى دار حوله دورة كاملة وهو يفكر ويفكر، ثم قال: أبشر بالعز والخير..

تعجب الهدهد من ثبات الصقر!

ثم قال: وكأنك سيدي تعرف هذا الأمر مسبقاً! فلم تهتز ولم تقلق؟!

الصقر: لا يا عزيزي الهدهد، لست أعلم بهذا الأمر إلا الآن من أخيك النسر الذي خرج لِتَوَهُ، لقد حاول الغربان تجنيده لصالح لعبتهم الدنيئة وخطتهم الخبيثة، إلا أنه ابن الأصول، تربى على حفظ الأمانة، والوفاء بالعهد الذي تعاهدنا عليه، من حفظ الديار وحماية حدودها من أي ماكر خبيث أو عدو بغيض....، وقد أرسلته في

صق جزيرة الأحلام

مهمة حماية المدينة وتكثيف جنوده على سياجها واستعدادهم لمواجهة الخطر المحدق بنا، وإنه لقادر على ذلك، وعلى الله العون ومنه التوفيق والنصر....

أما أنت أيها الرسول الكريم، فإن لك مهمة أخرى على وجه السرعة والدقة.

الهدهد: وما هي يا أميري؟؟

عليك تبليغ تلك الرسالة إلى أحبائنا من صقور البرية؛ فإن لنا عندهم عهداً أن ننصرهم وينصرونا ضد أي متآمر، وأظن أنهم سيكونون حريصين على الوفاء بهذا العهد الذي بيننا وبينهم، ولن يخذلونا....

ما إن سمع الهدهد مهمته حتى كانت صقور البرية تنتظم في صفوف وأسراب حول مدينة الطيور، معلنة بهذا المشهد المرئي لكل ذي عينين من الطيور أننا هنا، ولن نخذل أهلنا وأصحابنا، فهذه شيمتنا، ووحدتنا سر قوتنا....

ارتعدت الغريان والبومة من هذا التحرك السريع، وأخذوا يتراجعون شيئاً فشيئاً...، فهم يعلمون ما للصقور البرية من سطوة وقوة، وما لهم أيضاً من صداقات مع ممالك أخرى تمتلك قوة وتأثيراً يجعلهم ينكصون على أعقابهم ويولون الأدبار، لكن عنادهم وكبرهم، وربما أيضاً استنادهم إلى مملكة أو ممالك أخرى قوية، كل هذا دفعهم إلى حصار مدينة الطيور، وتخريب كل الأعشاش التي كانت على الطريق المؤدية إلى المدينة، ومنع أي طير يريد أن يهاجر من المدينة إليهم، وأيضاً منع أي طائر يريد أن يغادرهم إلى المدينة، وطرد كل الطيور التي كانت في رحلات عندهم وفي مُدُنهم، ويشمل ذلك كل الطيور، بما فيها تلك التي وضعت بيضها حديثاً، ومن أفرأخها لا زالوا قريبي عهد بالرعاية، ففرقوا بذلك بين الطيور من أفراد الأسرة الواحدة، وعادت الطيور تشق الجو بأجنحتها دونما زاد أو استعداد، تاركة أوكارها وصغارها، في رحلة مليئة بالأهوال والمخاطر، فوق أمواج البحر المتلاطمة تارة، وفي أحشاء الليل القاسي تارة أخرى، تمّتي نفسها بالوصول إلى مدينتها، فلربما يخفف عنها شيئاً مما تجد من ألم الجوع والعطش ومشقة الطريق....

وها هي تصل منهكة أسراب الطيور الطريفة إلى مدينتها لتجد في انتظارها على أعتاب المدينة إخوانها من الطيور يقفون بالماء والطعام وما يسر النفوس، في فرحة عارمة بوصول الوفود القادمة مضطرة من الخارج، فتقف الطيور لاستقبالهم، تهز أجنحتها فرحاً وطرباً بقدم إخوانهم ليزيلوا عنهم أثر الوحشة التي شعروا بها في تلك الرحلة المرهقة، والمضنية...

صقر جزيرة الأحلام

اجتمع وزراء مدينة الطيور ينظرون في أمر مدينتهم، وكيف يواجهون الخطر المحدق بهم والذي جاء على غير موعد، وقام الصقر يطلب من كل واحد منهم أن يفكر كيف يدير المملكة كما لو كان هو قائدها....

قامت الحمامة ترفرف قائلة: نحن في بداية الأمر نريد أن نعطي رسالة تهدئة واطمئنان لأهل مدينتنا حتى لا يقلقوا أو يخافوا، ونوصيهم بأن يحفظوا أخلاقهم عن الوقوع في إخوانهم أو الإساءة إليهم بالقول أو بالفعل، فعلى هذا تربيينا.

الصقر: حسناً ما قلت.

قامت النعامة ترفع صوتها كما رأسها: رُبَّ ضارة نافعة يا سيدي، فلقد كنا أعددنا خطة لإنتاج زائدٍ من الغذاء يكفي حاجتنا لفترات طويلة، لكننا قد أصابنا بعض الفتور والكسل؛ اعتماداً على ما يأتينا من خارج المدينة؛ فلم نكمل ما بدأناه منها بشكل مناسب، ولدينا من الخبرة والسواعد التي تستطيع تعويض ذلك الذي فقدناه من الغذاء، وفي أقرب وقت، وربما يكفيننا بل ونوزع منه على من شئنا من جيراننا وأحبابنا.

أعطى الصقر أوامره بالبداية الجادة فوراً بعدما سمع كلام النعامة.....

علق البيغاء قائلاً: لقد طال صبري وصمتي، وإننا نملك شيئاً لا يملكه أحد مثلنا، نملك الصوت المسموع والموثوق، وإنني سأمر بالخروج على المرتفعات؛ لنوضح لسكان المدينة، ونفند لهم كل ما قاله الغربان من وشاية وضلال، وسوف نرسل مندوبينا إلى الممالك والمدن الأخرى أيضاً حتى يكونوا رسلاً لنا هناك؛ يُسمعونهم صوتنا ويُعلمونهم موقفنا، وبذلك نتمكن من تضامنهم معنا ومع قضيتنا، ومن ثم ندرك من سيكون معنا ومن سيكون ضدنا.

قال الصقر: حسناً ما قلت..... فافعل.

قام البط يهز جنبه ويلتفت يمناً ويسرة، وفي صوت خافت على غير عادته قال على استحياء: أظن أننا بحاجة إلى عدم الإسراف فيما تحت أيدينا من طعام وشراب، فلا يجوز أن نتهاون في ذلك، على الأقل في تلك الظروف التي نمر بها، ولا فرصة ولا مجال لأحد أن يأخذ فوق حاجته المعتادة؛ حتى لا نضع سكان المدينة في خطر، ونكون نحن السبب فيه بدون قصد.

حسناً ما قلت..... قال الصقر رداً على البط: تم اتجه إلى الكناري قائلاً: وأنت... ماذا بوسعك أن تفعل؟؟

صقر جزيرة الأحلام

رد الكناري بصوته العذب: لدي صوتي وألواني المبهرة، سأغني، وأشدو، وأرقص؛ حتى يتسلى أهل المدينة، وأبعث فيهم النشاط والبهجة كلما سنحت فرصة.

أوما الصقر برأسه... بمعنى نعم نعم نعم، ثم قال: ولا تستهين بذلك، فرفع الحالة المعنوية لسكان مدينتنا أمر غاية في الأهمية، وسوف يساعد الجميع على تجاوز تلك الظروف بأقل خسائر....

وأزيدكم فأقول: لا تخلفوا عهداً قطعتموه على أنفسكم مع أحد، ولا ترفعوا أيديكم عن مساعدة محتاج، وسوف أمدكم بكل الوسائل التي تحتاجون إليها لمواصلة جهودكم لتثمر وتثمر ونحاصر الحصار، ونتجاوزه ونخرج منه أفضل بكثير مما دخلناه... قوموا إلى صلاتكم في محراب الحياة، متوكلين على الله، ومن توكل على الله كفاه.....

هنا وقف طائر غريب بالباب ونادى: أنا الطائر الغريب الذي أويتموني وعلمتموني وداويتموني، وليس عندي شيء أقوله إلا أنني ومن ورائي جميعاً على قلب رجلٍ واحدٍ معكم، لا نملك إلا شيئاً واحداً، وهو أننا سوف نكون في مقدمة الصفوف ضد أي عدوان؛ ولأن تلك الأرض التي جمعتنا، وانتماءً لتلك العاطفة التي شملتنا، ورداً للجميل الذي وجدنا، والسلام. صفق البط والحمام.

وقام النسر، ومشى إلى الطائر الغريب، ووضع عليه جناحه، وقال: لست غريباً، بل أنت صاحب مكان، ولم ولن نعتبرك غريباً يوماً ما... فأنت من تشاركنا أفراحنا وأحزاننا، وراحتنا وتعبنا، وسعادتنا وشقاءنا، فلا تقل مثل هذا الكلام، فأنت منا ونحن منك.....

صاح الكناري يرفرف بجناحيه ويغرد: حياك.. حياك.. حياك...

الطائر الغريب: وآخر ما أود أن أقوله: خذوا حذرکم؛ فقد رأيت بعض البيض الغريب مع بيضي الذي أرقد عليه، ولا أدري من وضع هذا البيض عندي؟ ونصيحتي لكم أن تتخلصوا من أي بيض ليس لكم، أو لا تعرفون مصدره، فربما كانت فراخ ذلك البيض ضرراً لنا جميعاً.

الحمامة: وأنا أيضاً رأيت مع بيضاتي بيضاتٍ غريبة، ولما خرجت فراخها لم أعرفها، ثم هربت دون علمي..

نظر الصقر إلى النسر، وتبادلا نظراتٍ عميقة، وتحادثا بنظراتهما حديثاً لا يفهمه غيرهما...

خرج كل منهم ليمارس دوره في ساحة العمل؛ فقد مضى وقت الكلام.

وكان الصقر على موعد مع اجتماع الطيور فخرج ليلتقي بقيادة الممالك في اجتماعهم الدوري لمناقشة ما يدور بالممالك من تطورات، خرج الصقر ليعلمها لجميع المدن: إننا قادرون على تجاوز هذا الظلم وهذا العنت الذي يمارس ضدنا من بعض إخواننا ممن شذوا عن أخلاق مملكة الطير، ولكننا لن نسكت عن حقوقنا، وسوف تكون محكمة الطيور فاصلاً بيننا وبينهم في تلك القضية، وأقول لهؤلاء: لقد فرطتم في حق الأخوة التي بيننا، وقطعتم الوشائج والصلات التي ظل أسلافنا يربونها عليها دهوراً...

صفق الحاضرون من مملكة الطير من جميع المدن، ومدوا أيديهم لتحية الصقر الأشم، وانحنوا له إكراماً وإجلالاً، وعرضوا عليه أن يمدوا يد الوصال، وجسور التعاون بينهم وبينه، بعدما علموا أن ذلك شرف لهم قبل أن يكون مكرمة له هو.

اجتمع الغربان في ثوب خزي عريض.... يختبئ كل واحد منهم خلف الآخر؛ خوفاً من الظهور أمام أعين مملكة الطير، ليتفوقوا على أن يتراجعوا عن حصار المدينة عملياً، ولكنهم لن يعلنوا ذلك على الملأ حتى لا ينتف الطير ريشهم.... معتمدين في ذلك على أن الزمن جزء من العلاج، وأن الأجيال القادمة قد تنسى أو تنشغل في أمور أخرى.....

رجعوا يجرون أذيال الخيبة، أما البومة فقد تركتهم في الطريق؛ لتذهب إلى آخرين ربما تجد عندهم بُغيتهما.... ومن عمق الحسرة التي نالت الغربان، فقد سقط أحدهم في البئر، وتخلى عنه من كانوا بالأمس إخوانه؛ عندما رآوه ساقطاً، فظل يحاول ويحاول، إلا أن ساقيه وجناحيه قد تهتكوا من كثرة المحاولات، ومن حديد بارز في البئر، فظل ينادي بصوته المتعب، أيا سائرين على الطريق، ألقوا نظرة على حالي، فإن رققتم لها فأنقذوني، وإلا فاحثوا علي التراب ولا تكشفوا ستري عند أخوالي.

وهكذا تلاشت آثار سجن أراده الغربان، وعرف الجميع مواطن الخلل، وتمت محاصرة الحصار....

وهنا.... اجتمع الصقر بأهل مدينته وزائريها؛ ليقدم لهم واجب الشكر، وجميل العرفان، وليعلمها أمامهم جميعاً: وحدتكم سر القوة، واحذروا.... فكل منكم على ثغر، فلا نؤتى من قبيله...

وتم عمل سياج حول الحصار، حتى انزوى وتضاءل، وصار الجميع يرونها سُبّة على جبين مملكة الطير...

صقر جزيرة الأحلام

وأمسك الطاووس بريشة مزخرفة من ريشه الغالي؛ ليسطر للتاريخ تلك الملحمة التي عاشتها مملكة الطيور، والتي أعز الله فيها الحق وأظهره، وأذل الباطل وطمسه؛ ليقراه أحفاد مملكة الطير من بعده...

علامات الإعجاب والدهشة تبدو على الجميع؛ لهذا الأسلوب الأدبي الراقي!!

الشيخ راضي: المرة الأولى في حياتي التي أكون فيها أول من سيبيدي رأيه، كم أنت رائعة حقا يا فجر، لقد ذكرتني بأخبار كليلة ودمنة، وحوار الكائنات، وهي ترسم مستقبلها وتعالج همومها، بإسقاطات على الواقع الذي يعيشه البشر، كم أنت رائعة بحوارك البديع الذي اختزلت فيه كل ما يختلج في نفوسنا، وإني لأرجو أن تستمري في كتاباتك على هذا النحو من الإبداع، وحبذا لو تجمعي أعمالك في كتاب، وتكون أختك ضحى هي صاحبة الرسوم الموضحة في القصص، ويكون اسم الكتاب: فجر وضحى.

علي: مفاجأة يا فجر...!! معكم على الهاتف أختكم عنود، كانت تستمع إلى قصتك الآن بصوتك، وتحب أن تبدي رأيها...

ابتسامات من الجميع وتركيز شديد ليستمعوا إلى عنود ورأيها عبر الهاتف.

محسن في صوت خافت: ربنا يستر، وهو يلحظ الحاضرين بطرفه..

عنود: ما شاء الله تبارك الله...!!

السلام عليكم جميعاً... وكم أنت عالمية يا فجر...، وقد استفدت كثيراً من طريقة السرد الرائعة، وسوف يكون بزوغ نجمك على يدي بإذن الله، وسوف أضمن لك ترجمة تلك القصة إلى ست لغات عالمية...

هنا تداخل محسن قائلاً: ولو من الممكن نسخها بطريقة برايل، يكون هذا أفضل حتى يستفيد منها الجميع..

عنود: أنا لا أجيد ذلك، لكنني سأجتهد في ذلك، وسوف أستعين بالمتخصصين في هذا المجال؛ فهذا حقهم علينا.. في أمان الله.

خالدة: كم كنت أتمنى حقاً أن تترجم القصة إلى لغة برايل؛ ليتعلم منها إخواننا وأخواتنا من الصم والبكم، ففي لغة الطيور إشارات جميلة، وهؤلاء يحبون ويجيدون لغة الإشارة قطعاً....

محسن: نعم...، صوت الحق لا بد أن يعلو ويصل إلى الجميع، وبالتوفيق يا فجر دائماً..

فجر: ماذا تقترحون من أسماء لتلك القصة؟

ناصر: صوت الحق.

ضحى: مملكة الطير.

خالده: صقر العرب.

خليفة: فجر .

فجر: نعم..

خليفة: أقصد نسميها فجر..... ضحك.

علي: طعنة الأصدقاء.

محسن: قوة الوحدة.

نايف: الحصار .

خالد: ثلاثة غريان وبومة.

فجر: كلها أسماء رائعة، ولا أريد أن أفضل اسماً على آخر، ولكني سوف أستخير وأختار اسماً لها بإذن الله، هذا كله بالإضافة إلى الاسم الذي اقترحه جدي في البداية... (فجر، وضحي)

محسن: أشعر أنك سوف تختارين اسماً غير تلك الأسماء كلها. ضحك.

الشيخة حسنية: قبل أن تغلقوا باب الاقتراحات، أحب أن أدلي بدلوي في ذلك، إن أحببتم..

الجميع: حباً وكرامة يا شيخة حسنية، هات ما عندك...

الشيخة حسنية: عذراً رسول الله؛ فإني من جزيرة الأحلام....

نظر الجميع لبعضهم في ذهول، وكادت الدموع تسيل من عيونهم، لولا أن عبد الله دعاهم إلى زيارته في المزرعة غداً على تناول الغداء....

خالد: أحسنت يا عبد الله، فإني كنت سأطلب منك ذلك إن لم تفعل، ولنتذوق طعم الخيرات من مصادرها، ومن أماكن إنتاجها...

محسن: سوف نستعد للغداء من الآن.....ضحك.

رحلة الخلود

وفي اليوم التالي، كان عبد الله قد أعد لهم من ألوان الطعام والشراب ما تشتهيئه الأنفس، فكان غداءً رائعاً، استحق إعجاب الجميع، ثم قاموا ليتجمعوا في حلقتهم الدائرية حول الشيخ راضي، الذي دعاهم إلى ذلك الاجتماع قائلاً: أيها الأحباب جميعاً، بعد الشكر لأخيكم عبد الله على هذا الغداء الجميل، والفواكه الرائعة والخضار اليانع، والمناظر البهيجة التي أمتع نظرنا بها، ولكن عنده خبراً يريد أن يلقيه على مسامعكم، قبل أن تتجولوا في المزرعة لتأنسوا بتلك الطبيعة التي وهبنا الله إياها وتشكروه عليها...

قاطعهم نايف قائلاً: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ظننت أنني الوحيد الذي أحمل خبراً ساراً اليوم.

قال الجميع: ما شاء الله، هات ما عندك.

نايف: منذ فترة طويلة وأنا أفكر في رد الجميل لكم جميعاً، جزاء ما وقفتم معي كلما احتجت إلى ذلك، ولأنني أعلم أنني لن أستطيع رد الجميل إليكم، فقد قررت التبرع لإنشاء مركز للتأهيل التربوي، يخدم كل من لديهم مشكلات أسرية، أو نفسية، أو دراسية، على أن يكون هذا المركز فريداً من نوعه، من حيث خدماته، وكفاءة القائمين عليه، ولن أدخر جهداً في تطويره، وإنمائه، والفضل لله ثم لكم في تبني تلك الفكرة.

كبر الجميع، وقالوا: على بركة الله سر، ونحن معك نؤازرك.

عبد الله: وأنا عندي لكم خبر سوف تسعدون له أيضاً، فقد هاتفي صديق لي من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم..... سوف يبرئ لنا رحلة الحج هذا العام بإذن الله.

الشيخة حسنية: كم أنت كريم عظيم يا رب، الحمد لله.. الحمد لله.

دانة: الحمد لله رب العالمين.

نايف: اسمحوا لي أن أبدأ في إعداد العدة لسفرنا جميعاً لزيارة بيت الله الحرام، ويشرفني أن أكون خادماً للجميع في تلك الرحلة المباركة....

صقر جزيرة الأحلام

محسن: نعم نعم، تريد أن تنال السيادة بالخدمة يا نايف؛ فإن سيد القوم خادمهم، وأنا شخصياً ليس عندي مانع...ضحك.

الشيخ راضي: يا ولد يا محسن، كفاك مرحاً في وقت الجد حتى لا ينزغ الشيطان بينكما...

نايف: لا تخف يا شيخ راضي، فأنا أفهم أخي محسن وأعرف مقصده جيداً....

أعد نايف لإجراءات السفر، وحن وقت السفر، وها هي الطائرة تحلق بهم حول الديار التي طالما اشتاقت قلوبهم إليها، وتاقت نفوسهم لمعانقتها، فكم بينهم وبين تلك الديار من حنين، وكم يجدون فيها من أنس....

وقد كانت مناسك الحج في ذلك العام غير كل الأعوام؛ فقد كانوا يتحسسون كل شيء في المكان باشتياق وحنين، خاصة الشيخة حسنية، التي كانت تتحسس المكان حول الكعبة وكأنها أول مرة تراه وتنظر إليه، وكانت تشم سَواري المسجد الحرام، وكأنها سوارى من الجنة، معطرة بعطر الجنة، أما الحجر الأسود فقد كان لها معه قصة وحكاية، فقد ظلت ليلة كاملة تتردد على الحجر تقبله وتبكي، ثم تتراجع قليلاً حتى تهدأ، ثم تنكب عليه تقبله وتبكي، وكأنها تستقبل ابناً لها قد طال سفره، وانقطع زاده، وفقدت الأمل في أن تلقاه مرة ثانية، ثم هي تفاجأ به أمامها، فلم تشأ أن تغادره ليلة كاملة، حتى أبكت كل من كان حولها، على لوعتها وشدة شوقها....

وهناك في المقصورة الشريفة، وقفت خاشعة في حضرة حبيبها، الذي تظن أنه غاضب منها لتأخرها عن زيارته، والتي طالما ما ندمت على ذلك مع عدم استطاعتها..... وقفت خاشعة كحال مذنب وقف بباب سيده ينتظر أن يأمر له بالدخول، حتى شعرت ببرد جسمها، ودموع عينها تسيل منهمة، فأحست بقبول عذرها.

وقالت: السلام عليك يا حبيبي يا رسول الله، الحمد لله الذي شرفني بالوقوف بين يديك، وأسأله سبحانه أن يرزقني شربة من حوضك بيدك لا أظماً بعدها أبداً، وأن تأذن لي بمرافقتك في الجنة.... وهي تنتحب بكاء.... سمعت صوتاً يناديها ولم تلتفت لترى من هو، ولكنه قال بصوت مسموع: يا أمة الله أبشري، فإن المرء مع من أحب....

حملوها ليحاولوا إفاقتها في أقرب مكان، حيث الروضة الشريفة، بين قبر ومنبر الحبيب، حتى قامت تتحسس الروضة بهدوء الولهانة التي لا ترى إلا وجه حبيبها، ولا تسمع إلا صوته، ولا تتنفس إلا عطره الشذي، هدأت ثم

صق جزيرة الأحلام

صلت ركعتين، وانصرفت، وكان خالد وخالدة هما من يصحبانها في تلك الرحلة المباركة... وكانا كلما عادا إلى أبيهما، يسألهما: كيف حال الولهانة؟

فيقولان له: وَلَهُ وَأَيُّ وَلِهِ، لقد فاقت رابعة العدوية..

فيقول: الحمد لله.. الحمد لله... دعوها وما تريد؛ فإن لها هنا حكايات لا يعلمها إلا الله....

كانت رحلة ممتعة للجميع، فكان الصغار بصحبة الكبار طوال الوقت، ينهلون من خبراتهم، ويستفيدون من حكمتهم، وكانت فرصة لمراجعة حساباتهم مع كل شيء، سواء في الدنيا أو في الآخرة، حتى يعودوا حقاً كيوم ولدتهم أمهاتهم.....

وحان وقت الفراق... ووقت المفارقة....

فراق الأحباب، ومفارقة الديار.

استعد الجميع للرحيل بجسده، لكن قلبه معلق هناك، إما بأستار الكعبة أو بالحجر الأسود، وإما بالقبر الشريف وصاحبه، أو بالروضة ومنبرها... تعلق حب وحنين، طلبا لنيل المكارم من الرحمن الرحيم.

تأخر الشيخ راضي بعض الوقت، حتى ساورهم القلق، فذهبت خالدة لتنظر ما الأمر؟

دخلت غرفة أبيها وأمها، فوجدت أباهما قد وضع رأسه بين رجليه وهو ينتحب، يهتز سريره من شدة نحيبه...

خالدة: ما بك يا أبي...؟ إن شاء الله نعود مرة ثانية وثالثة إلى هذا المكان.

رفع رأسه، والدموع تملأ عينه، وقد سالت خطوطاً على خديه، ثم أوماً إلى ابنته لتنظر إلى أمها.

نظرت خالدة إلى أمها، فوجدتها كالبدر ليلة التمام، وقد فارقت الحياة...

لم تدر ماذا تفعل ولا ماذا تقول....

ذهلت!... فلم تتحملها قدمها المتعبتان من الطواف والسعي، فقد كانت تتمالك نفسها حتى تستطيع أن تكون سنداً لأمها، أما الآن فهي التي فقدت سندها، مالت من الصدمة حتى ارتمت على صدر أمها، تقبل وجهها ووجهتها، وهي تقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، صدقت ونالت، صدقت ونالت.....

صقر جزيرة الأحلام

دخل خالد ينظر ما الأمر؟ فوجد الحال هكذا، فأقام أخته، ومسح دموع أبيه وقال: لا تبكوا عليها فقد نجت والحمد لله، بل افرحوا لها، وتمنوا للحاق بها، لقد أبت إلا أن تدفن في البقيع، ويصلى عليها بين يدي الحبيب صلى الله عليه وسلم، وأنعم بهذه من مودة.....

وفي البقيع، حيث مجاورة الصحب الكرام، والقرب من الحبيب، دفنت الشيخة حسنية، وعاد الجميع، وكلهم فرح بتلك الخاتمة السعيدة، وحزن على فراق الحنان، فراق الشيخة حسنية، الزوجة، والأم، والجدة...

كانت رحلة العودة رحلة صامتة، كل منهم قد ترك لخياله العنان ليسبح في ملكوت الفكر، ويسرح بطريقته في عالم الخيال، يبكي مرة ويضحك أخرى، ولا يدري أحد بحال أحد، فالأجساد متلامسة، لكن القلوب ترتع في أودية شتى، حتى وصلوا إلى بيتهم، يعزي بعضهم بعضاً، ويواسي بعضهم بعضاً، فالكل في الحزن سواء، إلا أن الشيخ راضي أراد أن يواسي نفسه ويقول: اختارتها يوم أن اختارتني!!

أنصت الجميع، وتوجهوا بكليتهم إلى الشيخ راضي، لينظروا ما يقول...

قال: لا تظنوا بي جنوناً، وإن كان موتها حري أن يصيبني بالجنون، ولكن الحمد لله على كل حال، واليوم أفشي لكم سراً عن أمكم حسنية..

نظر الجميع إلى بعضهم بعضاً في ذهول، ماذا يقول هذا الرجل الذي قارب الثمانين من عمره؟ وهو في موقف مثل هذا يفشي سراً لزوجته التي تعانق الحساب الآن؟

نظر إليهم نظرة شجاع فر من معركة ثم عاد لنفسه يجبرها على خوض المعركة مرة ثانية بكل ثبات، ثم قال: كان لقاؤنا الأول هناك، حول مسجد الرسول، في نفس المكان الذي قبضت فيه، وقتها كنت مع أبي في زيارة للبقاع المقدسة، فقابلنا أباه، وتحدثنا، فهو من أهل ديرتنا، وكانت تتخفى وراء أبيها حياءً من ذلك الشاب الغريب، ولكن أبي كان يدرك ما بداخل الإنسان، فقط من نظرات عينه، فرأى أن تلك اللحظة ربما لا تعود، فطلب تلك الفتاة من أبيها، وكنا وقتها لا نرد لأبائنا قولاً، فوافق الرجل، ولعله كان يرى بعين بصيرته أنه سيموت بعد أيام من عودته من تلك الرحلة، فأراد أن يتم الاتفاق سريعاً ليطمئن على ابنته الوحيدة قبل أن يفارق الحياة، فكنت أنا أباهما وزوجها، وإن شئتم فقولوا كنت كل شيء لها، وكانت قد أسرت لي بحديث في إحدى زيارتنا للمدينة المنورة، قائلة: أتذكر يا راضي يوم أن تقابلنا هنا لأول مرة؟ قلت: وهل هذا اليوم ينسى يا حسنية؟

صقر جزيرة الأحلام

قالت: شعرت وقتها أن روحاً جديدة قد سَرت في جسدي، وتمنيت أن تخرج هذه الروح يوم أن تخرج في نفس تلك البقعة الطاهرة، لا أدري لماذا تمنيت ذلك...، ولكنه حدث...

وانتهى كلامها عند هذا الحد، فكنت كلما أتيت إلى هذا المكان، أتوقع أن أموت هناك، ظاناً أنني الروح الجديدة التي سرت في حسنية، ولما ماتت هي هناك، أيقنت أنها هي روحها، هي التي اهتزت لتخبرها أن مكان تعارفنا وتواعدنا بالزواج سيكون المكان نفسه الذي تصعد فيه روحها إلى بارئها، فلذلك قلت لكم الآن: اختارتها يوم أن اختارتني، أي اختارت تلك البقعة لصعود روحها يوم أن اختارتني للزواج، والحمد لله يا أولادي، لست حزيناً على رحيلها كحزني عليها يوم سافرت لإجراء العملية، فأنا اليوم أعرف أنها قد عاينت رحمة الله، والحمد لله، فهي لم تغضبني يوماً من الأيام، فأنا راضٍ عنها طوال حياتها، وأسأل الله أن يرضى عنا وعنهما، الموعد قريب إن شاء الله....

كان عبد الله قد نسي فكرة الزواج بعد موت زوجته في (ساسا) قبل عودته إلى بلده في الرحلة العصبية، فاتجه إلى عمله، وأعطاه جل وقته، لكن الشيخ راضي كان له رأي آخر، فقد دعا عبد الله، وعرض عليه فكرة الزواج مرة أخرى، فحاول عبد الله أن يجد مخرجاً، فقال: لم أجد من تستحقني بعد يا جدي....

فعرض عليه جده الزواج ببنت بنت خالة حسنية، فوافق عبد الله نظرياً حتى لا يجعل جده في حرج، وما أن رآها حتى كان القدر قد أعد عدته، فأخذت بتلابيب قلبه، وكأن جده كان يرى من وراء حجاب أن وجود تلك الفتاة بينهم ستعيد روح حسنية لأجيال قادمة، فظل طوال الليل يدعو أن يشرح الله صدرهما، وكان ما كان..

وكان الشعرة السوداء التي ورثها عبد الله من جده الشيخ راضي، كانت مؤذنة بأن يرث مصاهرة الشبيخة حسنية خلفاً لجده، ولتستمر رحلة البناء والقيم، وروح الحب والخير إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً....

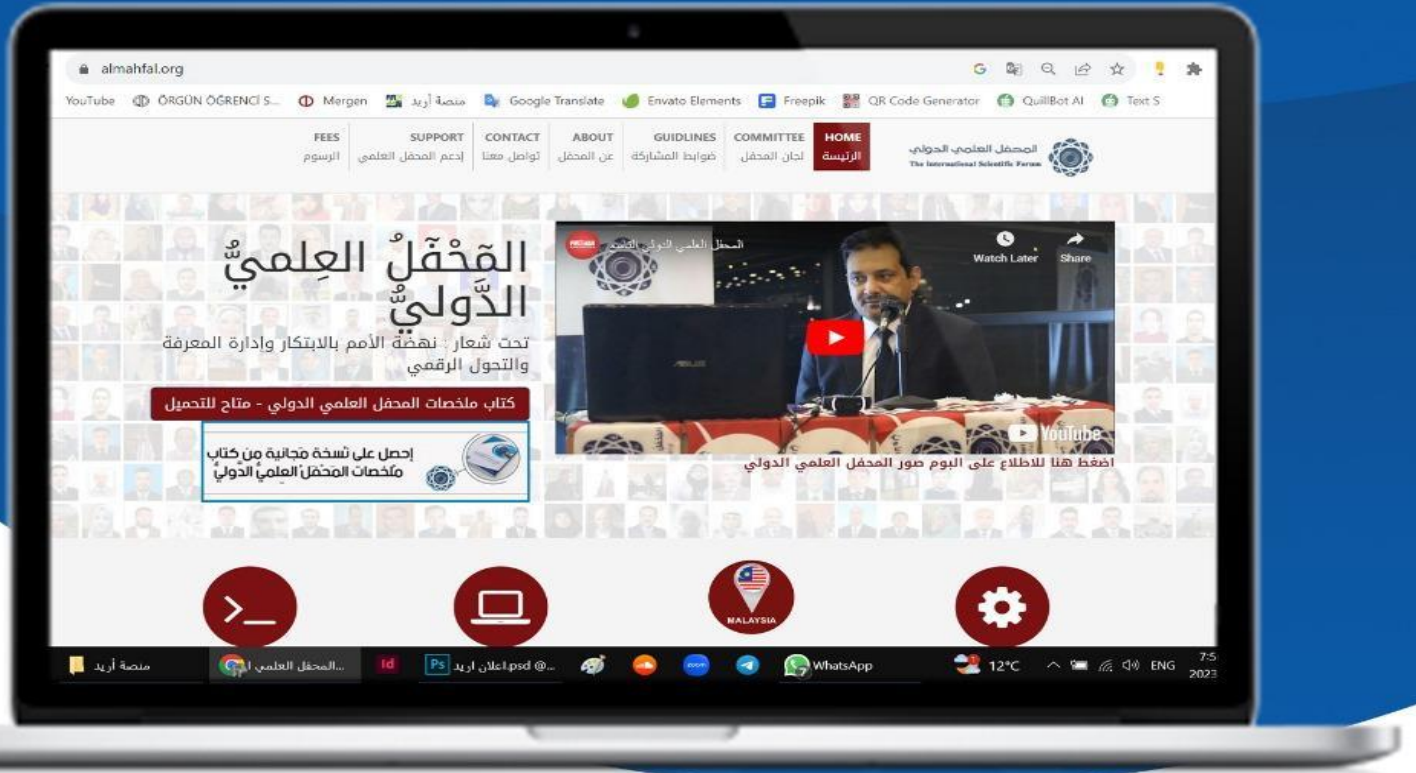
كانت تلك إشارة من الشيخ راضي بقرب لقاءه بالشبيخة حسنية، فلم يمر عام على رحيلها إلا ونداء الحق يأتي مع خيوط الفجر في يوم من أيام الشهر الفضيل..... وقتما كان الديك يصدح بالأذان، كانت روحه هي الأخرى تصعد لخالقها، لتستجيب للنداء الأخير، ليلتقي المنادي بالمنادى في عالم الحق والحقيقة لا في دنيا الأوهام والأحلام...

الفهرس

| | |
|---------|-----------------------|
| 3..... | إهداء..... |
| 6..... | تمهيد |
| 7..... | حصار الجزيرة..... |
| 15..... | إفضاء |
| 25..... | نساء وأي نساء!!!..... |
| 45..... | شلالات القيم |
| 58..... | أفئدة الطير..... |
| 67..... | رحلة الخلود..... |
| 72..... | الفهرس..... |



المحفل العلمي الدولي



يُعد "المحفل العلمي الدولي" وعاءً علميًّا خاصًّا بأعضاء منصة أريد، يستوعب ما يمكنهم القيام به من أنشطة وفعاليات علمية، وثقافية، وفكرية، وتواصلية، تُحقِّق الفائدة للمنصة وأعضائها في ضوء ما أقرّه أعضاء اللجنة التحضيرية لهذا المحفل من قيم، ورسالة، ورؤية.

منصة أريد العلمية

ARID Scientific Platform



منصة أريد هي منظمة غير ربحية تتيح التسجيل المجاني لتحقيق أهداف علمية متعددة الأوجه. تم تأسيسها من قبل باحثين وخبراء مهتمين بتطوير البحث العلمي.

مقرات المنصة: بريطانيا - ماليزيا - العراق - تركيا (13467806) ARID SCIENTIFIC LTD
All rights reserved - Address: 128 City Road, London, EC1V 2NX

● WWW.ARID.MY للتسجيل مجاناً في المنصة



Arid



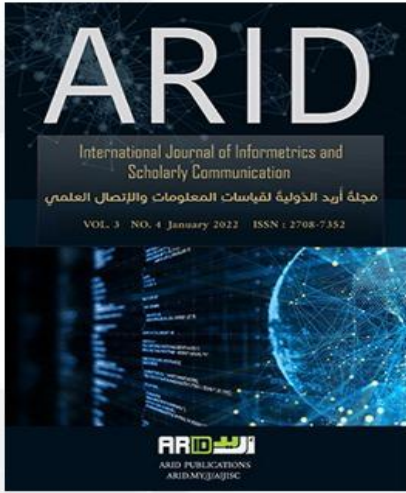
Arid

مجلات أريد الدولية

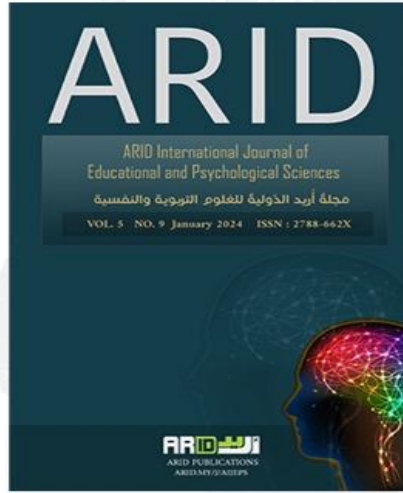
مجلات علمية تهدف الى الرقي بالمستوى العلمي
للناطقين باللغة العربية

WWW.ARID.MY

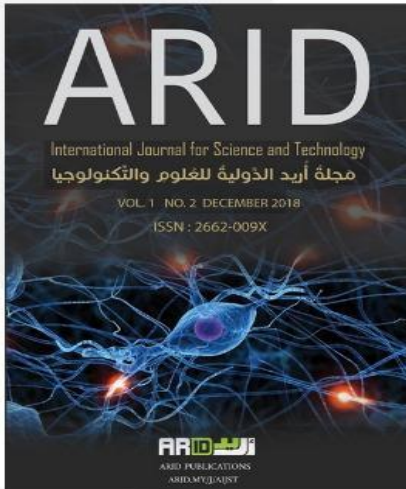
مجلة أريد الدولية لقياسات
المعلومات والاتصال العلمي



مجلة أريد الدولية للعلوم
التربوية والنفسية



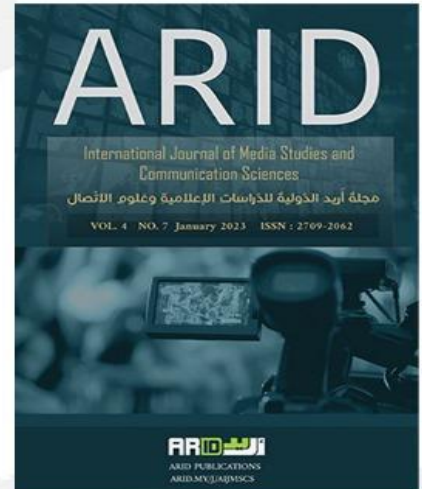
مجلة أريد الدولية للعلوم
الإنسانية والاجتماعية



مجلة أريد الدولية للدراسات
الإعلامية وعلوم الإتصال

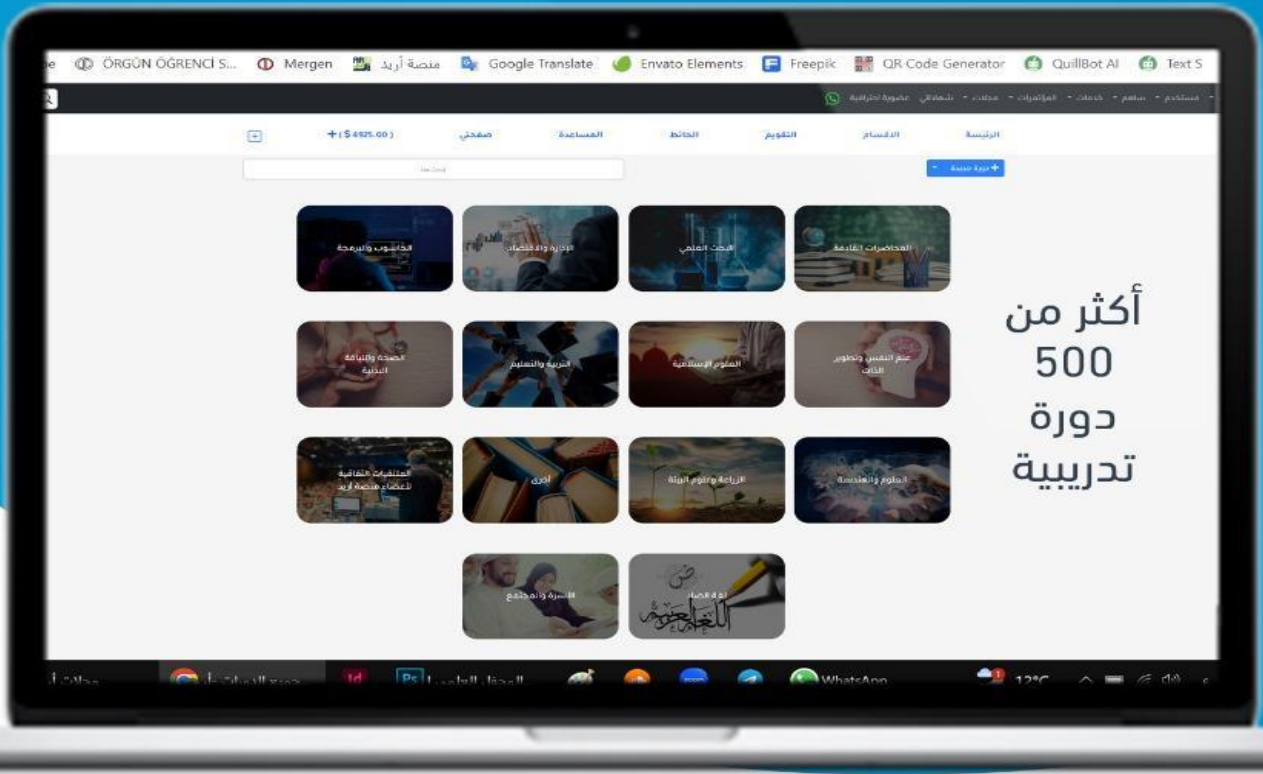


مجلة أريد الدولية للعلوم
والتكنولوجيا



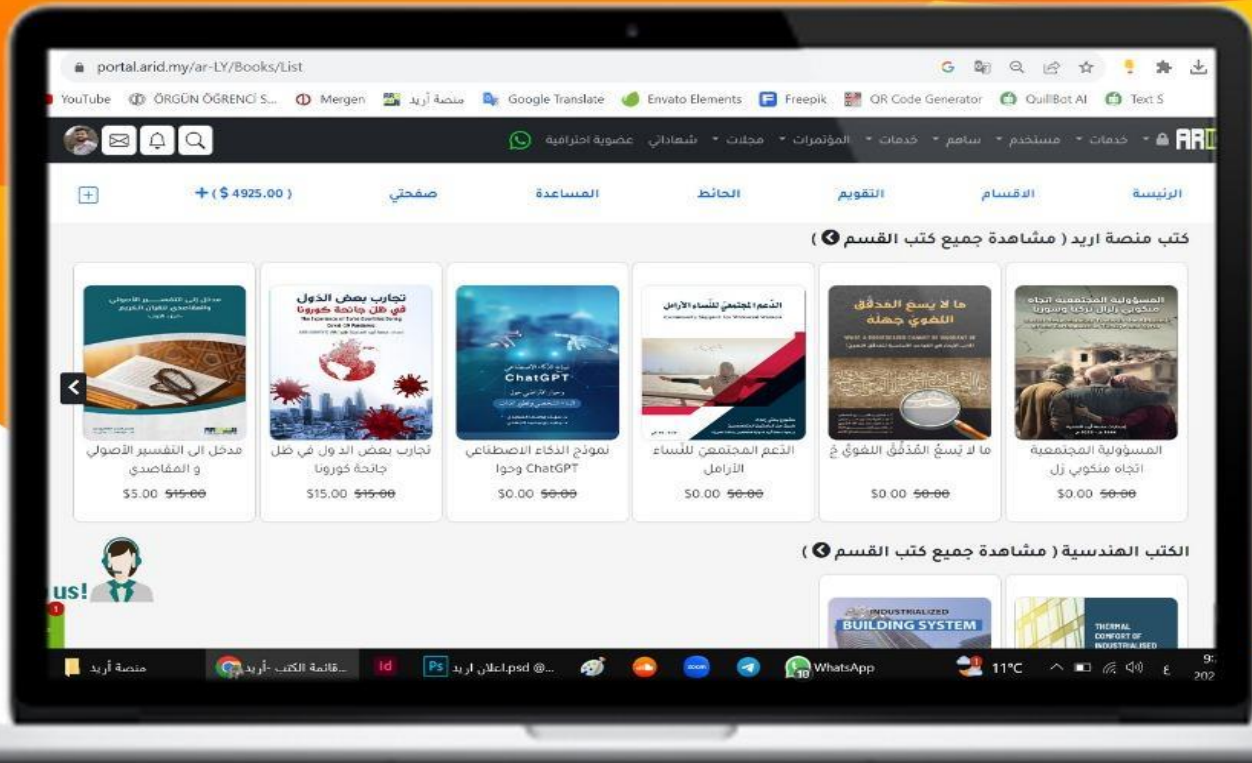
نظام عليم للتعليم الالكتروني في منصة أريد العلمية

أكثر من 500 دورة تدريبية ومحاضرة علمية



المكتبة الرقمية في منصة أريد

مكان واحد لجميع إصدارات أريد العلمية



الموقع الرسمي للمكتبة الرقمية

portal.arid.my/ar-LY/Books/List



أريد ARID
Arabic Researcher ID

WWW.ARID.MY

أوسمة منصة أريد العالمية

صقر جزيرة الأحلام

تأليف

د . محمود عبد المنعم خليفة

ولأن حال الدول كحال الأفراد، في الموالاة والمعاداة، وفي الحب والبغض، وفي المصالحة والخصام؛ فقد أتى هذا الإنجاز الكبير على غير رغبة بعض الجزر المجاورة، فقد كان بعضها يرغب أن يكون في الصدارة، وأن تكون هي الوجهة الأولى للعالم بدلاً من جزيرة الأحلام، ولم يتصوروا يوماً أن تتجه الأنظار إلى غيرهم، فهم يرون على مدى عقود من الزمن كيف استطاعت تلك الجزيرة أن تحظى باهتمام العالم في مجالات كثيرة، فقد بنوا اقتصاداً قوياً قائماً على أسس واقعية متينة، ووضعوا لأنفسهم مكاناً مع الكبار على خريطة التقدم والإنجاز، ومع كل هذا فهم متمسكون بعقيدتهم وتراثهم الأصيل.

لكن كما يقولون في الأمثال: (القشة التي قصمت ظهر البعير).